

مجلد لعل العربی

(دمشق) حزيران : سنة ١٩٢٩ م الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٧ و المحرم ١٣٤٨ هـ

١٢

الانشاء الخطابي

للكتابة إنشاء خاص وللتكلم إنشاء آخر ، ومن يجيد الواحد قد لا يجيد الثاني ، بل ربما كان نفاض بين الاثنين ، فان السواد الاعظم من مشاهير الكتاب لم يكونوا خطباء وبخلاف ذلك قلما تجد بين الخطباء من لا بعد كاتباً .

واذا كان الكاتب غير الخطيب فليس ذلك فقط لانه لا يعرف ان يتكلم كما يعرف ان يكتب ، بل ايضاً لان كتابته لا توافق المنبر ، فان المكتوب يُنال بالنظر ويُذاق بالفكر ، واما المقول فلا يصل الى القلب الا اذا مر بالاذن ، وللاذن احساس يجب ارضاءه ، ونعومة يحاذر من تحديشها ، والشعور الذي يشيره السمع ليس كالذي تولده القراءة فضلاً عن ذلك فان عقلية الجمهور المحتشد في مكان عمومي تختلف عن عقلية الفرد المعتزل في غرفته .

إذن للسمع إنشاء كما للقراءة إنشاء ، فما هي اصول هذا الانشاء وقواعده ؟ قال ابن المعتز والشيباني : إن البلاغة بثلاثة امور : (١) ان تغوص لحظسة القلب في اعماق الفكر وتنامل بوجوه العواقب وتجمع بين ما غاب وحضر . (٢) ثم يعود القلب على ما عمل به الفكر فيحكم سياق الأدلة ويحسن تنضيدها . (٣) ثم يديه بالفاظ رشيقة مع تزبين معارضها واستكمال محاسنها .

هذه الأركان الثلاثة التي تقوم عليها البلاغة هي ما يسميه الافرنج في تقسيمهم بالاختراع او الابداع والنسيق والتعبير .

فالاختراع او الابداع : هو استنباط الوسائل الخليفة باقناع السامع وتحويل عواطفه

وهذه الوسائل يقال لها الأدلة . وتسهيلاً لاستخراجها وضع الأقدمون من اليونان جدولاً لما يمكن استعماله منها ، وأطلق عليه العرب اسم مواضع . قال ابن سينا : ان التجميع في الجدل والخطابة تكتسب من المواضع ، فمن طلب الاقتناع وهو لا يعلمها كان مخاطب ايل يسمى على غير هداية لا لبخل في الموضوع بل لنقص في الاستعداد .

والنفسى : هو تنظيم الخطبة وربط أجزائها بعضها ببعض وترتيبها ترتيباً جميلاً .

والتعبير : هو الفراغ المعنى في القالب الموافق والبأسه الحلة اللائقة به .

ولكن هذا التقسيم يشمل الكتاب والخطيب معاً فكلاهما يحتاج في البلاغة الى الاعتماد على هذه الأركان الثلاثة ولا يبدأ الفرق بين الاثنين الا عند الركن الثالث ذلك لان الخطاب لم يعمل ليقرأ بل لسمع فيجب ان يتبع التعبير فيه الذوق وما يدعوا اليه المقام من تقصير الجمل او تطويلها ، والتكرار تارة والتجميع طوراً ، وانتقاء الألفاظ الموسيقية الخفيفة على السمع المؤثرة فيه ، والتخليق في سماء الخيال حيناً ، والنزوع الى النكتة حيناً آخر مع تطبيق ذلك على ما يضاف اليه مما يكمله كالأشارة والملاحم والنظرات ونبرات الصوت وسائر ما يمكن الانسان الحي ان يعطيه من الحياة الى هذا الشيء الحي الذي يقال له خطاب .

وها نحن اولاء نبحث فيما يلي عما يتعلق بهذا التعبير ويجعل للانشاء الخطابي مسحة خاصة به مفردين فصلاً آخر لما نسميه مكملات الخطيب او مزايا المنبر .

١ -

ان الكلمات التي تتألف منها الجمل هي كججارة الفسيفساء لها لونها الخاص وشكلها المحدود ولكنها تمثل صوراً مختلفة حسب تركيبها وتداخلها بعضاً في بعض فكما انك قد تجعل من قطع الفسيفساء صورة تدل على الحسن او القباحة واللذة او الألم وغير ذلك من الاضداد تبعاً للطريقة التي تؤلف بها بينها كذلك تستطيع حسب اختيار الألفاظ وتركيبها ان تمثل هذه العاطفة او تلك تمثيلاً كاملاً او ناقصاً ولا يتم لك الانتقان والاعادة الا اذا وقع اختيارك في موقعه وكان لك اللفظ الموافق والتعبير الصادق .

من الألفاظ ما هو نفخ كأنه يجر ذيول الارجوان أنفة وكبرا .

ومنها ما هو ذو قعقة كالجنود الزاحفة في الصفيح .

ومنها ما هو كالسيف ذي الحدين .
ومنها ما هو كالنقاب الصفيق يلقى به الشعر على بعض العواطف ليستمر من حديثها
ويخفف من شدتها .
ومنها ما له وميض البرق .
ومنها ما له ابتسامة السماء في ليالي الشتاء .
من الكلام ما يفعل كالقرعة وهو كلام الانتقاد والشديد . ومنه ما يجري كالنبع
الصافي وهو الممد للرضى والغفران .
ومنه ما يضي كالشهب وهو كلام التعظيم .
كذلك من الكلمات ما ليس له طابع خاص وإنما يؤتى به لتقوية الجملة ودعم المعنى
فهو يوافق كل حال .

تلك هي الادوات المعدة لبناء الخطبة لتطلب مهندساً بارعاً ومصوراً حاذقاً ليؤلف
بينهما تأليفاً موافقاً ويخلع عليها برداً جميل النسيج لامع الدهباجة يترجم معنى العظمة
او الجمال او اللطف او القوة كما في قطع الفسيفساء .
ان البلاغة لا تقتصر على افهام السامع كلام القائل والا « لقساوت الفصاحة واللكنة
والمخون والمعرّب » وإنما المقصود الافهام على سنة كلام البلغاء بان يجعل لكل طبقة
كلام ولكل حال مقام فيخلع الخطيب من الفاظه على معانيه حلة نور وضياء لينسجى للسامعين
ان يشاركوه في تلك الرؤيا الجميلة التي نتجلى في خاطره وبين تصوراته ، ولا يكون الخطيب
فما يقول كالرجل الذي يكثر من الاشارات في الغزلة ثم هو يتعجب كيف لا يراه الناس .



ان الاساس الذي بني عليه الانشاء الخطابي هو العاطفة والشعور لان الغاية الاولى
من الخطاب هي ان ننقل ما في قلبك من الاحساسات الى قلوب سامعيك . قال « دلامبر »
ان الذي يكتفي بالافتقار دون التأثير هو متكلم لا بليغ وقال « رفالور » ان العواطف
والاهواء هي الخطيب في الجماهير . وقال « ميرابو » السر كل السر في البلاغة الخطابية
ان يكون الانسان ملتبهاً بالعواطف . قال الحسين وضع متكلماً يعظ فلم تقع موعظته
من قلبه بموضع « يا هذا ان بقلبك لشراً ابو بقلبي » يريد ان الكلام الخالي من العاطفة

قد يكون مفهماً بالحقائق ولا يجد مع ذلك سبيلاً إلى النفس .
 وبما ان الشعور هو اساس الخطبة كانت البساطة أجمل حلة يلبسها الانشاء الخطابي
 ولا أعني بذلك ان يكون الكلام مبتذلاً عامياً بل ان يوافق الزمان والمكان فللمعاني
 العظيمة كلام عظيم كما بينا . ولا يستلزم كون الجمهور من العوام ان ينزل الخطيب
 بأساليب التعبير عن مقامها بل عليه ان يرفع العامة نحوه لان الفن فن ايضاً كان .

— ٣ —

وبأني بعد العاطفة الخيال لان الخطيب شاعر ان حقت ، الا ترى ان سرعة
 البدهة وحدة التصور وجيشان الخاطر وكل ما يمتاز به الشعراء موجود عند الخطباء
 فكأن القوة العقلية الواحدة باختلاف وجهتها وتباين مذاهبها قد انتجت عند بعض النوابع
 تارة بلاغة القلم وطوراً بلاغة اللسان .

لا ريب ان اللورد (بيرون) الشاعر الانكليزي المشهور عندما كان يحول بجواده
 فوق شواطئ الليدو وهو ينشد في الفضاء أشعاره السامية الغريبة ويلي من حوله على
 الكائنات نظر السيد المعتر بمجده ، المباهي بشبابه ، المفاخر بمجمل طلعته ولمعان نبوغه
 وما اعطاه الله من واسع السلطان في مملكة الهوى ، مخضماً لدى قدميه الفلاحة الحائرة
 والسيدة المتدلة ، منصرفاً على مطامع الرذيلة ومخاوف الفضيلة ، لا ريب ان ذلك
 الامير لم يكن حينذاك شاعراً فقط بل كانت عواطفه الثائرة تندفق من فؤاد خطيب
 فيلبسها حلة من شعره الجليل ولكن بعد ان أسكب في قالب خطابي بما فيها من غزارة
 وخيال وتصور خلاب .

واذا نظرت فيما كتب هيكو او نظم مثل (كروميل) و(الرجل الضاحك) و(القصاص)
 تبين لك انه لم يكن يتخذ غير لغة الخطابة كأنما هو يترن على الدور السيامي الذي كان مخبأ
 له في طيات الزمان .

كذلك لامارتين فقد حرك اوتار قيسارته على منبر السياسة فأفلق خطيباً كما أفلق
 شاعراً .

وكما كان بيرون الشاعر خطيباً كان جوريس الخطيب شاعراً وقد روى مؤرخوه
 انه وهو ابن عشرين كان يتمشى كالملك على شواطئ الكارون مردداً سيف الفضاء نثره

الجميل . وله صفحات شعرية خالصة في كتابه « حقيقة العالم المحسوس » كأنه وهو تحت وميض الالهام وبين عوالم الاحلام يسائل الوجود من كل نواحيه وينجي على صدر الارض واضعاً أذنيه مصغياً اليها كمن يحس* او يبحث عن نبض العالم .

على ان هذا الخيال وما اليه من حدة التصور وغلجان الخاطر ليس ضرورياً لكل خطيب فكما ان من المصورين من لم يكن مثل ليونارد دافنسي فن الخطباء من لا يعرف التماثل في سماء الخيال وهو يستطيع بكلمة او صورة او صوت ان يحرك العواطف وبثير الاثنيان . هكذا كان (والدك روسو) احد زعماء السياسة الفرنسية في العصر الغابر القائل في احدى خطبه هذه الجملة المشهورة « يجب على المالك ان يعمل وعلى العامل ان يمتلك » .

وفي العرب كثير من الخطباء الشعراء او الشعراء الخطباء وقد افردنا لهم فصلاً خاصاً .

ومن الامثلة الجميلة على الانشاء الخطابي الشعري هذه الفقرة التي نقطفها من خطبة لجوريس :

« رأيت أحياناً في طريق الجبل بعض الفلاحات العجائز عائدات من الغابة حوامل فوق ظهورهن أحمالاً من الاغصان الخضراء . فكانت الريح عند مرورها بتلك الاغصان المورقة توقظ من حول الفلاحة العجوز خفيف الأجراس الواسعة ولكن العجوز لم تكن تسمع هذا الخفيف بل كانت تمشي بخطاها المشاةلة دون ان نعي نشيد الاحلام الذي كانت تسره في أذنيها قطعة الغاب المحمولة على ظهرها » .

« أجل هكذا هو العامل المسكين يمشي محاطاً بنسيم الطبيعة دون ان يسمعها . كيف تريدون منه بعد جهده الطويل من طلوع الشمس الى غايها ، عندما يشعر ان عمله المضي ليس عملاً حراً وانه قد يجرد منه في الغد لغير ما سبب ، عندما يجد نفسه مقيداً بادواته التي تضنيه وربما فارقتها في غده مكرهاً ، كيف تريدون منه وهو على هذه الحال من التعب والاستعباد يساوره الوجع والاشفاق ان لا يتاح له في غده ما يطعمه ويطعم ذوبه ، كيف تريدون منه ان يرتفع فكره بالحلم فوق ضجيج المصانع الذي يصم الاذان ليقول في نفسه ان هذا الضجيج الخارج من الادوات العاملة هو جزء من الموسيقى الكونية . »

هذا الشيء سيعرفه في غدٍ عندما نعطيه الحرية .
ومثل ذلك هذه الفقرة الثانية من خطاب ليكو في مجلس الأشراف عندما طلب
جيروم نابوليون السماح له بالعودة الى فرنسا .

ايها السادة : لا حاجة لان اقول لكم ان غايي ليست اثارة الشجون او الاحقاد ولكنني
أشعر لدى صعودي هذا المنبر اني أؤدي واجباً علي : ان الذي يدفع هذا العاجز الى نهضة
جيروم نابوليون وهو في منفى ليس فقط عقائد نفسي بل كل تذكارات صباهي . فكأن
في هذا الواجب شيئاً من الوراثة ويخال لي ان ابي ذلك الجندي القديم للملكية هو الذي
بأسرني ان أقف وأتكلم . ولهذا أخطبكم باسادة كمن يؤدي واجباً علي اني كما ترون
لا أوجه كلامي الا الى اشرف واطهر وارصن ما في ضمائركم . من اجل هذا اريد ان
أقول لكم في الختام كل رأيي في ظلم هذا القانون الفادح الذي اسألكم الغاءه .

ايها السادة : هذه المادة من القانون الفرنسي التي انني الى الابد أسرة نابوليون
من الارض الفرنسية نبعت في نفسي شيئاً لا أعرف له نظيراً ولا استطيع عنه تعبيراً .
وتسهيلاً لفهم ما اريد ان اقول سأفرض فرضاً مستحيلاً : لاريب ان تاريخ الخمس عشرة
الاولى من هذا القرن ، هذا التاريخ الذي كتبته انتم ايها الابطال والقواد المحترمون
الذين أحني رأسي أمامهم والذين يصغون الي في هذا النادي ، هذا التاريخ لا يزال له
دوي في أذن العالم قاطبةً وربما لا تجدون في أقصى المعمور رجلاً لم يسمع به فقد وجدوا
في الصين في معابد الآلهة تمثال نابوليون . اجل اني افترض — وهذا هو الافتراض
المستحيل ولكنكم تسمحون به — افترض ان في زاوية من هذا الكون الواسع رجلاً لم
يعرف شيئاً عن هذا التاريخ ولم يسمع ابداً اسم الامبراطور . وافترض ان هذا الرجل جاء
فرنسا وقرأ هذه المادة التي نقول : « ان أسرة نابوليون منفية الى الابد من ارض
فرنسا » افتدرون ماذا يحول في خاطر هذا الغريب ؟ انه أمام هذا العقاب الهائل ليتساءل
من ترى يكون نابوليون هذا ! ويقول في نفسه انه لاريب كان مجرمًا عظيماً وانه من
المؤكد ان عاراً لا يمحى لاصق باسمه ومن يدري فلعله قد انكر آلهته وباع أمته وخاف
وطنه الى آخر ما هنالك . ان هذا الغريب ليتساءل بشيء من الجزع ماهي الآثام النظمية
التي استحق من اجلها نابوليون هذا ان يعاقب هكذا في سلالته الى الأبد .

ايها السادة هذه الآثام سأعدها لكم : هي الدين مرفوع الرايات ، هي القانون المدني محكم الآيات ، هي فرنسا متسعة النطاق الى ابعد من حدودها الطبيعية ، هي يانا ، مارنكو ، واكرام ، استرلتز هي اغلى وابهى مهر من القدرة والمجد يستطيع رجل عظيم ان يقدمه الى أمة عظيمة .

ايها السادة ان شقيق هذا الرجل العظيم يستعطفكم في هذه الساعة ، هو شيخ عاجز ، هو ملك قديم يسترحمكم اليوم ، أعيدوا له ارض الوطن . ان جيروم نابوليون لم يكن له في الشطر الاول من حياته الا رغبة واحدة ، ان يموت في سبيل فرنسا . ولم يكن له في الشطر الثاني من حياته الا فكرة واحدة ، ان يموت في ارض فرنسا . فلن تحببوا هذا الرجاء .



اما الإكثار من الأدلة والحجج والاغراق في الشرح والتفصيل ، والاسهاب في البينات والتعليل ، فذلك جائز في نثر الكاتب لان القاري متسعا من الوقت للتأمل والتجسس بخلاف السامع الذي يتلقى الجملة بعد الجملة ولا قبل له بالمراجعة او التوقف ، بل تراه مضطراً الى اتباع الخطيب والنقاط أقواله المتدفقة على سمعه ولهذا كان من اللازم ان تأتي هذه الأقوال واضحة صريحة مختصرة تفعل بالجزم والتأكيد أكثر مما تفعل بالتعليل والبرهان .

ان القاري حري في متابعة قراءته او التوقف للاستراحة او التأمل ، واما السامع فهو معلق بشفتي الخطيب محمول معه في كل ناحية لا يستطيع الوقوف او الاعراض دون ان ينقطع عرى الالفة بينهما فيذهب من الخطاب رونقه او بعض رونقه ونفوت السامع فائدته او جزء من فائدته .

وبقدر ما يقنص الخطيب على السامع في الفاظه وجملة يوفر من انتباهه ليستطيع إدراك معانيه والتأثر بها لان اللغة كما لا يخفى هي في آن واحد آلة للنقل وعائق دونه . فالانشاء الخطابي يختلف كثيراً عن انشاء الكاتب لاضطرار الخطيب ان يتبع فيه احوال نفسه والمكان الذي يتكلم فيه والجمهور الذي يصغي اليه فتكون « اللفظة في وزن الاشارة والمعنى في طبقة اللفظة » فيفصل بين الجمل ويكرر بعض الكلمات او يكثر من

بعض التنوع مسبباً هنا موجزاً هناك متمهلاً في بعض المواضع مسرعاً في غيرها ، واقفاً حين يرى ضرورة الوقوف ليتترك للسامع مجالاً يستوعب فيه ما اراد ان يلقيه اليه او يقصر انتباهه عليه .

ومما يكن من اهمية الموضوع والاجادة في النقاء الالفاظ وتخفيف المعاني فلا ينفع ذلك في محاربة ما يجلبه اسبابه او الضرب على ونيرة واحدة من العواقب التي لا تحمد .
الا ترى ان إطالة النظر الى الغدير الجاري والاستمرار على سماع خبره العذب يفضيان بنا الى النعاس ؟ بل ان هدير الأمواج المتصاخبة ، وزئير الرياح العاصفة ، ولعلمة الرعود على ما فيها من تعبير الاعصاب لتنتهي بنا الى النتيجة عينها اذا طال امرها وتعودت عليه الاذن وألفه الخاطر . فلا تكون بلاغة الخطيب حجة له في إطالة الشرح والتمادي في الاسهاب .

ان العبرة كل العبرة هي ان يحمل الخطيب عقول سامعيه في سيل من العبارات الجميلة الموسيقية فيهن تلك العقول هن الطفل في السرير ويملك عليها جهد التفكير ويخدر فيها حاسة النقد ويحجبها في شبه غيبوبة من سكر الفصاحة ، ثم تأتي كلمة هي الكلمة الفاصلة المنظرة مدعومة احياناً بشبهة في الصوت او ضربة على المنبر فتوقظ تلك النفوس وقد عرفتها وفهمتها وحيثها بابهاج .

واللغة العربية قابلة للانشاء الخطابي اكثر من سواها لوفرة غناها بالالفاظ والنشابة والاستعارات وما فيها من جزالة لفظ ونخامة تركيب ورنه تسجييع وغير ذلك فاذا ساعدها الاسلوب والخيال كانت على لسان البليغ خمراً تدب في الرؤوس وسحراً يسطو على النفوس . وربما نزل الانشاء الخطابي احياناً عن نثر الكاتب في دقة المعنى وإحكام المبني الا ان في فصاحة اللمجة وجمال اللفظ وجهاة الصوت وما الى ذلك ما يستمر هذا العيب فيخرج السامع مأخوذاً بما سمع وان لم يحفظ منه شيئاً قانعاً بما احس من التأثير راضياً بما حصل عليه من اللذة .

الدكتور فياض



الاندلس

« عبدة وذكرى »

- ٢ -

(٢) - الحكم الأموي :

يقسم الحكم الأموي في الاندلس الى ثلاثة عهود : الولاية - الامارة - الخلافة .
الولاية الأموية : بدأت بالفتح سنة ٩٢ - ٩٣ وانتهت بامارة عبدالرحمن الداخل سنة ١٣٨ . واول وال عليها عبدالعزيز ، ولها لايه موسى بن نصير على ما تقدم ذكره ،
 فتار به العسكر وقتلوه لسنين من ولايته .

وثابعت ولاية الأمويين عليها تارة من قبل الخليفة بدمشق ، وطوراً من قبل عامله على القيروان . وكانت مقتل الوالي الاول فتح باب اللدد على مصراعيه ، فظلت هذه الولاية ومدتها ست واربعون سنة وبضعة ايام ، مضطرباً للنزاع والصدام ، فل ان استقام فيها لوال امر ، اوطال له حكم ، حتي نيف عدد الولاة في هذه الفترة من الزمن على بضعة وعشرين والياً^(١) .

(١) وهذه اسماؤهم مع اختلاف يسير في ترتيبهم :

من سنة الى سنة مدة ولايته

٩٥ ٩٧ سنوات

عبد العزيز بن موسى

٩٧ ستة اشهر

ايوب بن حبيب الغمي

١٠٠ سننان وثمانية اشهر

الحار بن عبد الرحمن بن عثمان

١٠٠ ١٠٣

السحم بن مالك الخولاني

من قبل اهلها

القمر بن عبد الرحمن بن عبدالله ؟

عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي

١٠٣ ١٠٧ اربع سنين واربعة اشهر (من قبل يزيد

عنيسة بن سحيم

(ابن ابي مسلم عامل إفريقية)

عذرة بن عبد الله النهري

والسبب في ذلك مطامع الرؤساء ، وتضارب الالهواء ، ونزعة العرب الى العصبية الجاهلية الاولى . فقامت القيسية واليمنية لتتنازعا على السلطان — والقيسية واليمنية حزبان كان لهما في تاريخنا الى اجل غير بعيد شأن خطير .

كان عامل الاندلس منقطعاً به في اقصى ثغور المسلمين ، بعيداً عن قلب الدولة ومادتها ، فكان لا بد له من عصبية تؤيده في ولايته ، وتحتفظ له بها ، ولا تكون هذه العصبية مخصصة ثابتة ، الا اذا كانت منه ، وكان منها في عصبية واحدة . ففزع كل وال من ولاية هذا العهد الى عصبية ، القيسية الى المضربة ، واليمني الى اليمنية . والعصبية

من سنة الى سنة مدة ولايته

يحيى بن سلمة الكلابي	١٠٧	١١٠	سنتان وستة اشهر (من قبل بشر بن صفوان الكلابي عامل افرريقية)
عثمان بن ابى نعمة الخثعمي الخثمي	١١٠	١١٠	خمس اشهر (من قبل عبيدة بن عبيد الرحمن السلي صاحب افرريقية)
حذيفة بن الاخوص القيسي	١١٠	١١١	سنة (من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلي صاحب افرريقية)
الهيثم بن عبيد الكلابي	١١١	١١٣	سنتان (من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلي صاحب افرريقية)
محمد بن عبد الله الاشجعي	١١٣	١١٣	شهران
عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي	١١٣	١١٤	سنة وثمانية اشهر (من قبل عبيد الله ابن الحجاب صاحب افرريقية)
عبد الملك بن قطن الفهري	١١٤	١١٦	سنتان (من قبل عبيد الله بن الحجاب صاحب افرريقية)
عقبة بن الحجاج السلولي	١١٦	١٢١	خمس سنين (من قبل عبد الله بن الحجاب صاحب افرريقية)
عبد الملك بن قطن الفهري	١٢١	١٢٤	(من قبل نفسه ثلثاً)

نقتضي الرجل ان ينصر اخاه ظالماً او مظلوماً ، فخرج الوالي عن ان يكون حاكماً عاماً ، وأصبح زعيم عصبية ، يتصحب لذويه ، ويتعامل على اعدائهم . فكان من جراء ذلك ان انشقت الجماعة ، وهاجت الأحقاد ، ونقدت الناس باحزابها ، لا على أقدارها .

ومن طبيعة السياسة الحزبية ان تشتد معها العداوة ، وتستحكم البغضاء ، وان يترتب على كل فريق بصاحبه لوثبة يهتبلها منه ، فيُبدل له عليه ، القيسي من اليميني ، واليميني من القيسي ، وكان الامر بينهما دواليك . وهُزل الامر حتى بلغ ان لا يكون للوالي حكم نافذ الا على قومه ، الوالي القيسي بطبيعته القيسيون ، وينحاز عنه البايون ، والبايني يخضع له اليمينيون ، ويعصيه القيسيون . وزاد هذا الخلاف التباين أممية بالشرق ، ونضعض أحوالهم ، فشغلوا عن قاصبة الثغور ، بكثرة الخوارج . فبقي اهل الاندلس فوضى : فمن دأمة ، وولاية متنازلة ، وحال لا تستقر من القلق . وانفق جند الاندلس آخر الامر ان يجعلوا الولاية في القيسية واليانية مداولة بين الجندين ، سنة لكل دولة . فقدم المضرية على انفسهم سنة ١٢٩ يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، فاستلم ولايته بقرطبة . ثم واثقه اليانية لميعاد اذاتهم ، واثقين بمكان عهدهم وتراضيههم وانفاقهم ، فبقيهم يوسف في قرى قرطبة بهالة القيسية وسائر المضرية فاستلحهم ، وتمت الغاية للقيسية في معظم انحاء الجزيرة ، الى ان كان من امر عبد الرحمن مانحن ذاكره .

من سنة الى سنة مدة ولايته

١٢٤ ١٢٥ سنة

بلج بن بشر

سنتان

ثعلبة بن سلامة الجذامي ؟

ابو الخطار حسام بن ضرار الكبي ١٢٥ ١٢٩ اربع سنين وتسعة اشهر (من قبل حنظلة

ابن صفوان صاحب افر بقية)

١٢٩ سنة (من قبل عبد الرحمن بن حبيب

صاحب افر بقية)

ثوابة بن سلامة

(من قبل اهلها)

عبد الرحمن بن كثير

(من قبل اهلها)

يوسف بن عبد الرحمن الفهري

لهذا ، ولما انبعث عن ذلك من تبدل الولاة ، ظلت الولاية الأموية في الاندلس متناقلة ، غير متوارثة بين الآباء والابناء ، على ما وقع من ذلك في كثير من الولايات الأموية ، ولا سيما ما بعدت الشقة بينه وبين دار الخلافة كالاندلس .

شغلت هذه الفن ولاية الأمويين عن الفتح فلم نهض بهم مهمة اليه ، الا ما كان من فتوح عبد العزيز بن موسى . ثم عقبة بن الحجاج السلوي الذي جاهد مظفرأ حتى بلغ سكنى المسلمين في ايامه اربونة ، وصار رباطهم على نهر ردونة . والهيثم بن عبيد الكلابي غزا مقوشة فافتحها .

والسمح بن مالك الخولاني نهض بالفتح الى جنوبي فرنسا . وعنبسة بن يحيى مات — وقيل قتل — وهو على حصار تولوثة (تولوز) . وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي فتح قرشونة ، ونيم ، وغيرهما من جنوبي فرنسا ، واستولى على ارل ، وليون ، ويزانسون وانتهى الى تور . وعبد الملك بن قطن الفهري غزا البشنكش (البسكة) .

واكثر هؤلاء كان جهادهم في العدو اقرب بشيئته الى الغزو منه الى الفتح . ومن بقي من هؤلاء الولاة لم يذكركم غزو ولا فتح بل انشغلوا في انفسهم ، وفي عصبيااتهم ، وفي المجاحشة عن كراسيهم او صحوهم على لغة السياسة اليوم — عن الماضي فيما كان يريد مومي بن نصير او في بعضه .

ونحن وان لم نكن ممن يستهوينا تبسط ذلك الفتح الى أبعد ما وصل اليه ، بعد ان ضاع الفتح كله ثمرة ونواته .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر وبعد ان انتهت تلك الأقطار التي كانت تمتد تلك الجزيرة الى ما انتهت اليه . غير اننا كننا نود لو هذبت حواشي ذلك الفتح بتطهير مخارمه ومفازعه ، ففعل ذلك كان يكون أحفظ للملك ، وأبقى عليه ، وهو ما نشير في موضعه اليه .

موقف الاسبان : وبمسائل الانسان بعد ان صورنا له هذا العهد ، عما كان من امر الاسبان أصحاب البلاد الاصليين ، وقد رأوا هؤلاء الذين سلبوهم ملكهم منشقة كلتهم ، منقسمين أحزاباً يقاتل بعضهم بعضاً .

لقد كان فتح الاندلس امراً خطيراً كان له دوي كبير ، فأصبح اسم العرب ملأ

الاشماع والأبصار ، فانصدعت من جراء ذلك قلوب الاسبان ، وصغرت نفوسهم عن مقاومة العرب اول الامر ، فلم يشجعهم هذا الخلاف الذي نجم بين العرب على منازلهم وعهدهم بالفتح وبأس العرب قريب . وأخرى هي ان العرب كانوا في حكمهم أعدل من الاسبان ، فلم يكن ينال الاسبان الذين نفيوا وظل الحكم الاسلامي وبقوا على نصرانيتهم ، شيء من الظلم الذي كان ينالهم ايام حكم امراءهم المسيحيين ، وللعادل روعة سيفه النفوس وجلال ، حمل اولئك الاسبان الجبلين الذين اعتصموا بتلك الولايات الجبلية ان يتركوا الى حين .

فلما كثرت بين العرب الخلاف واستحكم امره ، وكان قدمضى على الفتح ربح من الزمن ، اخذ الاسبان يخيفون أطراف الملك العربي فتغلبوا على جزء من بلاد برشلونة ثم على برشلونة . وهذا الذي استخلصوه من العرب ان لم يكن شيئاً مذكوراً بالنسبة الى الجزيرة ، فهو شيء كبير بنفسه . وأخرى انه فتح على العرب باباً من مطاعم الاسبان يدخلون منه الى سائر انحاء الجزيرة ، فيعيدونها الى حيازتهم وهو ما قد كان .

الحضارة والعمران : شجع عبدالعزيز بن موسى الهجرة الى الاندلس ، فوجد عليه الناس من الشام والعراق ومصر وغيرها ، فأقطع كل قبيلة ناحية . وازدهرت الاندلس بالعرب ، وكثر اهل الشام في قرطبة عند ابي الخطار حسام بن ضرار الكلبي الوالي البيني ، حتى لم تحلم دار الولاية ففرقهم في البلاد . أنزل اهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق ، وأنزل اهل حمص اشبيلية وسماها حمص ، واهل قنسرين واهل الأردن ربة ومالقة وسماها الاردن ، واهل فلسطين شدونة وهي شريش وسماها فلسطين ، وأنزل اهل مصر تدمير وسماها مصر .

وانتشرت اللغة العربية في الجزيرة بانتشار العرب انفسهم فيها اولاً ، وبتغللبها على لغة البلاد بقوة الفتح ثانياً ، وأنشأ عبدالعزيز بن موسى ديواناً للتوفيق بين الشريعة الاسلامية السخية ، وقوانين اهل البلاد المفتوحة وعاداتهم ، رعاية للمصالح ووضع السمع ابن مالك الخولاني باصر عمر بن عبدالعزيز نظاماً للارض ، وبقي قنطرة قرطبة الشهيرة .

الإمارة الأموية : مدتها مئة وسبع وسبعون سنة ، بدأت في العاشر من ذي الحجة من سنة ثمان وثلاثين بعد المئة (٧٥٦) بصقر قریش - عبد الرحمن الملقب بالداخل . وانتهت سنة خمس عشرة وثلاثمائة ، في عهد عبد الرحمن الناصر . فتعاقب على هذه الإمارة بعد عبد الرحمن الداخل ، ابنه هشام الرضي - فابنه الحكم بن هشام - فابنه عبد الرحمن الأوسط بن الحكم - فابنه محمد بن عبد الرحمن - فابنه المقتدر بن محمد - فأخوه عبد الله بن محمد - ثم حفيده عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله وهو ثامن الأمراء الأمويين وبه ختمت الإمارة . فهو لما بلغه ان يؤنس الخادم قتل المقتدر بالله العباسي بالمشرق ، أعلن خلافته وتسمى بأمير المؤمنين وصرحت السكة باسمه .

عهد الإمارة : هذا العهد هو خير العهود التي عرفتها الاندلس العربية فقد كان فاتحته عبد الرحمن الداخل ، وواسطته عبد الرحمن الأوسط ، وخاتمه عبد الرحمن الناصر : ثلاثة لاندري أيهم أفضل من صاحبيه ، فكانوا رجال أمية بالغرب غير منازعين ولا مدافعين ، بل كانوا عرانيين أمية عامة في المشرق والمغرب ، ومن رجالات الدهاء والحزم والسياسة في العرب .

عبد الرحمن الداخل : لما انقرضت الدولة الأموية بالشام ، وصار الامر الى بني العباس ، تتبعوا بقايا بني أمية ، ووضعوا فيهم السيف ، وفر من نجى منهم واستخفى . وكان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام اذ ذاك بذات الزيتون ^(١) ففر منها الى

(١) لم اجد فيما عندي من الكتب ما يعرف منه موضع ذات الزيتون . وفي معجم البلدان الزيتونة موضع كان ينزله هشام بن عبد الملك في بادية الشام فلما عمر الرصافة انتقل اليها فكانت منزله الى ان مات ، فهل الزيتونة هي ذات الزيتون ؟ ان عبد الرحمن مات ابوه وهو صغير فكانه جده هشام صاحب الزيتونة ، ففعل الموضعين واحد ، فيكون عبد الرحمن قد لجأ الى موضع له سابق عهد فيه والله أعلم . او ان ذات الزيتون في جبل حوران المعروف اليوم بجبل الدروز .

فلسطين ، وأقام هو ومولاه بدر يتجسس الاخبار ، و ينتقل من موضع الى موضع ، الى ان دخل بلاد الاندلس . واليك حديث خروجه من الشام ، يقصه بنفسه على مثال المذكرات السياسية اليوم . قال :

« لما أعطينا الامان ثم نكث بنا بنهر ابي فطرس ، وأبيحت دماؤنا ، اتانا الخبر ، وكنت متنبذاً من الناس فرجعت الى منزلي آيساً ، ونظرت فيما يصلحني واهلي ، وخرجت خائفاً حتى صرت الى قرية على الفرات ذات شجر وغياض ، فبينما انا ذات يوم وولدي سليمان يلعب بين يدي ، وهو يومئذ ابن اربع سنوات ، فخرج عني ثم دخل من باب البيت فرعاً باكيًا فتعلق بي ، فجعلت أدفعه وهو يتملق بي ، فخرجت لانظر ، واذا بالخوف قد نزل بالقرية ، واذا الرايات السود مخططة عليها ، واخ لي حديث السن بقول : النجاء فهذه رايات المسودة . فأخذت دنائير معي ، ونجوت بنفسي واخي ، وأعلمت أخواني بمتوجهي فأمرتهم ان يلحقني مولاي بدرآ .

وأحاطت الخيل بالقرية فلم يجسدوا لي اثرأ ، فأثبت رجلاً من معارفي ، وأمرته فاشترى لي دواب وما يصلحني ، فدل علي عبدله العامل فاقبل في خيله يطلبني ، فخرجنا على أرجلنا هراباً والخيل تبهرنا ، فدخلنا في بساتين على الفرات فسبقنا الخيل الى الفرات فسبحنا ، فأما انا فنجوت والخيل بنادوتنا بالامان ولا أرجع ، واما اخي فانه عجز عن السباحة في نصف الفرات فرجع اليهم بالامان واخذوه فقتلوه ، وانا انظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة . فاحتملت فيه شكلاً ومضيت لوجهي فتواريت في غيضة أشبه ، حتى انقطع الطلب عني وخرجت فقصدت المغرب فبلغت افرقية » .

ثم ان اخته ام الاصبح الحقنه بدرا مولاه ومعه نفقة له وجوهر ، فلما علم به عامل افرقية وهو يومئذ عبد الرحمن بن حبيب بن ابي عبيدة الفهري ، لج في طلبه ، واشتد عليه ، فهرب منه فأقى مكثاسة — وهم قبيل من البربر — فلقى عندهم شدة بطول ذكرها ، ثم هرب من عندهم فأقى نفاوة — وهم اخواله — وبدر معه . قيل وخلص عبد الرحمن الى المغرب يحاول فيه ملكاً فلما أعياه الامر ورأى شدة عامله عبد الرحمن بن حبيب ، وما كان من فتكه بالعاص وعبد المؤمن ابني الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، رأى الاندلس أوسع لعمله ميداناً ، وأضمر منالاً ، وبعد الشقة ما بينهما

وبين بغداد : دار الخلافة العباسية ، ولما بين اهلها من ننافس وشقاق . فرمى بهيمته اليها .
وجه عبد الرحمن مولاہ بدر الى من في الاندلس من موالي المروانيين واتباعهم
يدعوم الى نفسه ، فاجتمع بهم ، وبثوا له في الاندلس دعوة ، ونشروا له ذكراً ، ووجهوا
اليه مركباً مع وفد منهم وابلغوه طاعتهم له ، ورجعوا به الى الاندلس .

جاز صقر قریش — وهو اللقب الذي أطلقه عليه عدوه وابن عمه المنصور العباسي —
البحر الى الاندلس . وما لبث ان سار الى قرطبة فاتخذها له عاصمة ، وجعل يقابل من
نازعه ، ويقضي على من خالفه ، وبعد قتال شديد ، وفتن متطاولة ، تمت له الغلبة على
جميع من ناوّه : من عرب وإسبان ، وظهر على جيشي المغرب والفرنجية اللذين قاتلاه
نصرة للعباسيين ، او بحجة النصره لهم .

وناجته نفسه حينئذ من الزمن بالزحف على بغداد ، وانتزاع الخلافة من العباسيين ،
كما انتزعوها من قومه ، وهم بذلك لولا ان شغله الاسبان ، والفرنجية ، والخارجون عليه ،
يهدم العباسيون بالمال والرجال .

والذي ساعد عبد الرحمن على امره ، وأعانته على ما كان فيه من خلق الرئاسة
الموروثة ، وأصابها المكتسبة عوامل اربعة :

الاول : ما أنفذته اليه اخته من المال .
الثاني : اتباع الأمويين ومواليهم ، الذين كان يؤلمهم ان يذهب الملك من أصحابهم
بني أمية ، لهوى لهم معهم ، او لعصبية كانت لهم فيهم .
الثالث : البجائية المغاضبة التي تغلبت عليها القيسية فسلبتها حقها من الولاية ووترتها
وتراً مضاعفاً .

الرابع : استعانته بالموالي والبربر الناقمين لاستئثار العرب دونهم بالحكم والرئاسة .
جمع عبد الرحمن هذه القوى اليه ، بدهائه ومضاء عزمه ، حتى تم امره ، وانقادت
اليه الاندلس قاصيها ودانيها ، على شررتها وعرامها . وليس من شيء يدل على اناة
الرجل وسعة حيلته ، وحبره على ما يكره ، مثل ان يدعو للعباسيين على منابر بلاد غلب
ولا تتم عليها ، بعد حروب حمى وطيسها ، وبعد ان كان من أفاعيل العباسيين بقومه
ما يضيّق عنه حلم الحليم . لم يقطع لبني العباس خطبة الا بعد ان تم له الاستقلال .

ولي عبد الرحمن الحكم ٣٢ سنة وكان فصيحاً استأ ، عالماً شاعراً ، حلياً حازماً ، سريع
النهضة في طلب الخارجين عليه ، لا يخلد الى راحة ، ولا يسكن الى دعة ، ولا بكل الامور
الى غيره . شجاعاً مقداماً ، بعيد الغور ، شديد الحذر ، بخيلاً جواداً .

ومن شعره وقد نظر الى نخلة منفردة بالرصافة وقيل انه هو زارعها فقال :
تبدت لنا وسط الرصافة نخلة نناءت بارض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبهي في التغرب والنوى وطول النئائي عن بني وعن اهلي
نشأت بارض انت فيها غريبة فثلك في الافضاء والمنئاي مثلي
سقتك غواذي المزن من صوبها الذي يسبح ويستمر السماكين بالوبل
ومن قومه ينشوق الى معاهده بالشام :

ايها الراكب الميم ارضي أقر من بعضي السلام لبعضي
ان جسمي كما علمت بارض وفؤادي ومالكه بارض
قدر البين بيننا فافترقنا وطوي البين عن جفوني غمض
قد قضى الله بالفراق علينا فمسي باجتماعنا سوف يقضي

وخلف عبد الرحمن ابنه هشام بعهد منه اليه ، وكان هشام ذا رأي وشجاعة عادلاً
ممدوحاً يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز — وبث عيونه ينسقطون له شكوى
الناس ومظالمهم فيشكيهم ، غير ان اخويه سليمان وعبد الله شاقاه وخرجا عليه فقائما
حتى تغلب عليهما .

وشق عليه عصا الطاعة غيرهما ، منهم سعيد بن حسين الانصاري بطرطوشة ،
ومطروح بن سليمان بن قيطان ببرشلونة ، وغيرهما في غيرهما ، فغلبهم كلهم . وجاء بعد هشام
ابنه الحكم سنة ١٨٠ فكانت مدة ولايته ستاً وعشرين سنة تعاضمت فيه الفتن وقام
عليه ايضاً عماء ، سليمان وعبد الله ، صاحباً الفتن ايام ابيه ، واستنصر عبد الله شارلمان
ملك الفرنجة فكان اليه سريعاً . وهو الذي كان لا يني بعمل على ايقاد النار في بلاد
المسلمين . وانتهى الامر بان تغلب الحكم على معظم المصاعب التي واجهته ، اوقع باهل
قرطبة ، و باهل طليطلة ، و باهل ماردة ، ورد غارات الفرنجة عن بلاده ، واعتدى
عليهم باشد ما اعتدوا عليه ، وقتل بهم فتك عزيز مقتدر . فعاد الامن الى نصابه .

وأحاديثه بالفتك وسفك الدماء طويلاً مستفيضاً . ومما يدل على نجده وبطشه ، انه لما كثرت عليه الفتن الداخلية ، واشتغل بعصيان اهل ماردة ، طمع الفرنج في تغور المسلمين فقصدها بالغارة والقتل والنهب والسي . فأتاه الخبير بشدة وطأنهم . وقيل ان العباس الشاعر كان قد مرّ بوادي الحجارة فسمع امرأة تقول : وا غوثاه بك يا حكم ! لقد أمملتنا حتى كلب العدو علينا ، فأيمنا رأيتمنا . فسألها عن شأنها فقالت : كنت مقبلة من البادية في رفقة ، فخرجت علينا خيل عدو فقتلت وأسرت . فنظم العباس قصيدة يمرض فيها بذلك وأنشدها الحكم وأخبره بامر المرأة . فجهز الجيوش وخرج غازياً ، وقصد الناحية التي أقبلت منها تلك الخيل ، واتي بالأسرى فذبحهم بحضرة تلك المرأة وأهل بلدها . وقال للعباس قل لها : هل أغاثها الحكم ؟ فقالت لقد شفى الصدور ، ونكى العدو ، وأغاث المملوك . فأغاثه الله ، وأعز نصره . فارتاح لقولها وبدأ السرور في وجهه وأنشد :

ألم تر يا عباس اني أجبتها  على البعد أقتاد الخيل المظفرا

فأدركت اوطاراً وبردت غلّة  ونفست مكروباً واغثت معصرا

وعلى الجملة فقد كان عهد الحكم عهد فتن متصلة ، وفي أيامه كانت وقعة الرض ففسب إليها ، ووقعة الحفرة . وكان على صرامته وبطشه مستهتراً يميل الى اللهو والصيد ، ويؤثر مجالس المغنين والشعراء ، على مجالس العلماء والفقهاء ، وهو اول من استكثر من الممالك بالاندلس وأظهر نخامة الملك وأسرف في تأييد هيبته . ارتبط الخيل على شاطيء النهر قبلي قصره ، التي فرس . وبلغت ماله خمسة آلاف ، وكان يسميهم الخرس لعجبهم . وتشبه بالجبابرة ، وكان مباشر الامور بنفسه ، فأنكر عليه الفقهاء استهتاره واهاجوا العامة عليه ، فشدد هو عليهم ، منهم ان بداخلوه في اموره ، ونكبهم وأجلى جمهوراً منهم عن الجزيرة .

وكان الحكم مع هذا عادلاً جواداً ، فصيحاً شاعراً ، يقرب اهل الفضل ، ويؤاسي اهل الحاجات ، ويشبهه بابي منصور في شدة الملك ، وتوطيد الدولة وقمع الاعداء .

ثم ولي الامر عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٠٦ فكانت مدته ثلاثين سنة . ولم تكن ولايته أقل اضطراباً وفناً من ولاية ابيه الحكم . وكان هو لا يقل عنه بأساً وسطوة .

سرف همه لاختاد الفتن داخل بلاده ، ورد غزوات الافرنج ، فكان منصوراً في اكثر الحروب التي كانت بينه وبين العرب ، وعماله ، والاسبان ، والافرنسيس ، والترمنديين المعروفة غزواتهم عند العرب بغزوات الجوس . فتغلب على اعدائه كافة بعد جهد جاهد وقتال متطاوول .

وكان عبدالرحمن أدبياً شاعراً عالماً بالشريعة ، وغيرها من علوم الفلاسفة . وكثرت عنده الأموال فصرفها في العمارة .

واخذت الامور بعد عبد الرحمن بالضعف ، فاضطرب الأمن ، ونجحت قرون الفتن في ثغور الاندلس ، واشتعلت الثورات في جوانبها ، حتى كادت نعمها تقتلهمها فيجتاحها ، لولا ان قبض الله لهذه الجزيرة عبدالرحمن الناصر ، ففقه عين الثورة ، وانظم عقد الدولة ، وأعاد الجزيرة سيرتها الاولى ، أيام جديده : وسميته عبد الرحمن الاوسط ، وعبد الرحمن الداخل .

موقف الاسبان : قوت هذه الفتن من عزائم الاسبان ، وزاد في الامر نصرة الافرنج لهم ، واستنصار بعض الامراء بهم ، فكثرت اعتداؤهم على الاندلس العربية ، وعملوا على التدخل في سياستها الداخلية ، ينصرون الأمير الأموي على أخيه الأموي ، والعامل على أميره . وعلى الجملة فقد كانت نصرتهم للثورة على السلم ، وللفوضى على النظام . فاسترجعوا من جرأ ذلك قسماً كبيراً من ولاية قطالونية .

الحضارة والعمران : لم يصرف عبد الرحمن ما عاناه من الفتن والحروب ، وتأسيس الملك ، عن اعمال الحضارة والعمران . فلقد أنشأ المدارس ، ودور الكتب ، شجنتها بالمولفات النفيسة . وبني الحدائق الغناء ، منها الرصافة تشبهاً بجده هشام الذي بنى الرصافة بالشام . وبني مسجد قرطبة الاعظم « وكان معبداً للفيزقوط ملكه المسيحيون واخذ المسلمون نصفه . ولما شرع عبد الرحمن في بنائه ابتاع النصف الآخر ^(١) » فعاجله الموت عن إتمامه .

وأطلق الحرية للنصارى بدينهم ، وكتب لهم عهداً بذلك . .

(١) غرائب الغرب للاستاذ محمد كرد علي .

واما هشام بن عبد الرحمن فقد أتم مسجد قرطبة الذي شرع فيه ابيه ، وبني عدة مساجد غيره ، وجدّد فنترة قرطبة التي كان عقدها السمع الخولاني .
 وجند الحكم الأجناد ، وجمع الاسلحة ، واستكثر من الحشم والخواشي .
 واما عبد الرحمن الأوسط فقد كان عصره عصرآ زاهياً زاهراً بالحضارة والعلم ، وبكل فن من فنون الأدب . وأحدث أشياء لم يكن للبلاد سابق عهد بها . شاد القصور الفخمة والمنزعات ، وجاء اليها بالماء العذب من الجبال ، وبني المدارس والجوامع الكثيرة ، ومهد الطرق ، ونظم الشوارع ، وأقام بها الجسور ، وجمع اليه ذوي الشهرة من شعراء العرب وذوي الفضل منهم .

واليه وفد زرآب المغني معلم ابراهيم الموصلی فأورث صناعة الغناء بالاندلس .
 ويعترف الاروبيون انه لم يكن في زمانه دار ملك كدار ملكه أبهةً ومجداً^(١) .

عارف النكدي

(١) دائرة المعارف العربية للبستاني .

صلة العلم

« بين دمشق وجبل عامل »

- ٢ -

(٢) الشيخ عز الدين حسين بن شمس الدين محمد بن محمد بن ابراهيم الحسام العاملي
الدمشقي :

هكذا جاءت نسبته في امل الآمل وفي اجازة نغراالدين بن العلامة الحسن بن المطهر
الحلي له . وكان قد قرأ عليه وهو معاصر للشهيد .
وفي امل الآمل ذكر ترجمة اربعة رجال من علماء عيناثا احدى قرى جبل عامل
الجنوبية ينسبون الى الحسام ولم أتفحق انتسابهم اليه ولا مشاركتهم له في عمود نسبته .
اما صلته العلمية بدمشق فحسبك دليلاً عليها انتسابه اليها .
من علماء المائة التاسعة :

(١) الشيخ نبي الدين ابراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح بن اسماعيل العاملي
الحارثي الكفعمي^(١) مولداً . واللويزي^(٢) محمدآ . والجبيعي^(٣) أبآ . والحارثي منسبآ . والنبي
لقبآ . والامامي مذهبآ .

هكذا انتسب في آخر كتابه المصباح . ترجمه الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي
في امل الآمل . والشيخ يوسف البحراني في كتابه لؤلؤ في البحرين . والشيخ احمد المقرئ

(١) قال المقرئ والكفعمي نسبة الى كفرعتا من قرى اعمال صفد كما نقول في
النسبة الى عبد الدار عبدي والى حصن كيفا حصكفي . وقال في الروضات وكفعم
على وزن زمزم قرية من قرى جبل عامل كاللوزية وجبع . ونقل عن العلامة البهائي
ان الكفر على لغة جبل عامل بمعنى القرية وعينها اسم رجل لقرية هناك والمعروف ان قرية
كفعم كانت عاصمة منذ مائة وستين سنة وهي من قرى الشقيف على غلوة سهمين من قرية
جيشيت وثلاثة أميال من النبطية وقبره معروف فيها وهي اليوم خربة .

(٢) نسبة الى اللوزية من اعمال جزين . (٣) نسبة الى جبع من اعمال النبطية
اليوم وكانت قاعدة اعمال النفاخ سابقآ .

الاندلسي في كتابه نفح الطيب . وكلهم اثنوا على أدبه وعلمه ووصفوه بطول الباع وسعة الاطلاع .

ومن أسانئذه الشيخ زين الدين علي بن يونس العاملي النباطي ^(١) البياضي ^(٢) والشيخ شمس الدين محمد بن زين الدين علي بن شمال العاملي المشعري وكانت قراءته على الشافعي سنة ٨٤٨ .

اما صلته العلمية بدمشق فلم اجد من مترجميه من صرح بها كما انهم لم يصرحوا بذكر ايام تحصيله . واسماء شيوخه الذين اخذ عنهم العلم . والبلاد التي ارتحل اليها في طلبه العلم الا نفاً ذكرت في ترجمته لا ترتاح اليها نفس المؤرخ شأنهم في جل ما كتبوه في معاجهم التي هي مجموعة فهارس وجريدة اسماء وكنى والقاب . وعذرهم ان خرضهم مما كتبوه في الغالب يتحضر لحفظ مسألة الاجازة لا للتاريخ .

ومن تضاعيف تلك المعاجم وقفت على اسمي شيجيه اللذين ذكرتهما آنفاً وهما لم يذكرهما في ترجمته واذا لم نقف على تصريح برحلته الى دمشق لاخت العلم عن شيوخها فاننا لنستفيد مما ذكره العلامة الشيخ احمد المقرئ في الجزء الرابع من ص ٣٩٥ الى ص ٣٥٨ من كتابه نفح الطيب من التعريف به . وايراد نبذة من نظمته ونثره . ومنها رسالته الى قاضي القضاة ابي العباس ابن الفرغوري انه كان على صلة حسنة بعلماء دمشق . واليك محل الحاجة مما جاء بنفح الطيب :

« ومن بدائع الكفعمي رسالة كتب بها الى قاضي القضاة العالم العلامة ابي العباس ابن الفرغوري في شأن استادار قاضي القضاة المذكور الامير علاء الدين ^(٣) ويخرج من اثنائها قصيدة منها ^(٤) . والكفعمي برسالته شفيع بالاستادار الى قاضي القضاة . وفي

(١) نسبة الى النبطية البلد المعروف على غير القياس . (٢) نسبة الى قرية البياض من قرى صور الساحلية . (٣) هو علي بن نغر الدين ولم أعثر له على ذكر في غير هذا الكتاب . (٤) ومن القصيدة هذه الايات :

ويشفي الى قاضي القضاة بان ذا علي بن نغر الدين في امركم مرضي
ومدحكم فرض يراه لسانه وحبكم اياه شامده يقضي

اتخاذ الاستادار له شفيعاً به الى قاضي القضاة الذي كان يتولى اكبر منصب في دمشق وبنيته في ذلك الوقت من أعرق بهوتات العلم ولجاء فيها^(١) دليل على مكانة الكفعمي الادبية في ذلك البلد الطيب مضافاً الى توثق عرى المودة والأدب بينه وبين قاضي قضائها .

وفي كتاب روضات الجنات ما محصله : ان خازن المكتبة العلوية الغروية اباح للكفعمي مدة من الزمن الاطلاع على نفائس كتبها النادرة الجلييلة والاستفادة منها فكانت لمؤلفاته منهلاً فياضاً غزير المادة حتى قال اقرعي وهو حافظ الاندلس في وقته « وما رأيت مثله في سعة الحفظ والجمع » واورد له أبياتاً من نظمه اقتبس فيها اسماء بعض الكتب وعقبها بقوله « واكثر هذه الكتب التي ورأى بها غير موجودة بأيدي الناس ولا معروفة لديهم وهذا دليل على صحة اطلاعه » .

ومن مصنفاته رسالة محاسبة النفس الواثمة وهي الرسالة التي نشرها صديقنا العلامة عيسى اسكندر المعلوف في بعض مجلدات آثاره .

حديث سواكم لا ير بقلبه وان مر لا يحلو وحكمكم بمضي
بنيه به من سيف القبيات عزه لخدمته اياك يا قاضي الارض
فان بك في أفعاله او مقاله عصاكم فعين العفو عن ذنبه لغضي

(١) قال ابن شاشو في كتاب تراجم اعيان دمشق واصفاً هذا البيت « بيت بالراصة مشهور . وفي قديم الكتب مذكور . اكثره قضاة وصدور . ولعفاة المجد به ورود وصدور » . وقال البديعي في كتابه ذكرى حبيب في ترجمة الشيخ احمد بن محمد « هو من ذوي الحسب والعراقة . وارباب اللسن والطلاقة . وآباؤه صدور الدروس . وزينة الازمنة والطروس » . وترجم المحبي من رجاله اربعة : الاول الشيخ احمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٣٧ الثاني الشيخ عبدالوهاب وترجمه ابن شاشو توفي سنة ١٠٧٣ الثالث الشيخ محمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٢٣ الرابع ولي الدين بن احمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٧٢ . وفي خطط الشام ذكر عبد الرحمن بن فرفور المتوفى سنة ٩٩٢ وابن شاشو ذكر احمد بن ولي الدين وابن معصوم في سلافته الشيخ مصطفى .

لم اجد من ترجمه من تعرض لتاريخ وفاته والراجح انه توفي في آخر العقد العاشر من المائة التاسعة .

من علماء المائة العاشرة :

(١) لامام الشيخ زين الدين بن علي بن احمد بن محمد بن جمال الدين بن نقي الدين ابن صالح تلميذ العلامة الحسن بن المطهر بن مشرف العاملي الجبعي الملقب بالشهيد الثاني^(١) وفي بعض كتبه زاد على نسبته التحاريري^(٢) وصاحب روضات الجنات الطاووسي^(٣) . كان نسج وحده في استجماع الفضائل . والحرص على تحصيل العلوم والفنون والرحلة في طلبها الى اكابر الشيوخ من الفريقين السنة والشيعة . وامام عصره في التحقيق وكثرة التصنيف والتأليف مع الاجادة حتى بلغت مصنفاته ما بين مطول ومختصر ستين كتاباً . وما كتبه بخطه من الكتب مائة كتاب وشرح جل كتب الشهيد الاول في الفقه . ومن اوليائه بين العلماء الامامية انه اول من مزج في شروحه الشرح بالمتن وهي الطريقة التي استفادها من شراح علماء السنة ولم تكن معروفة عند علماء الامامية . واول من صنف في الدراية .

ترجم نفسه ترجمة مطولة مفصلة ممتعة بتنديء بتاريخ ولادته . ولئنهي باول سني محبته . وهذا ملخصها :

(١) لقب بذلك تمييزاً له عن الشهيد الاول الالف الذكر الذي اطلق عليه هذا اللقب بعد مقتل صاحب الترجمة . (٢) نسبة الى التحارير وهي من قرى جبل عامل الجنوبية الدارسة . والمظنون ان موقعها في الارض المسماة في هذه الايام بوادي الشعارير على بعد ميلين من قرية ميس . وذكرها الشيخ محمد الحيساني (نسبة الى قرية بني حيان من عامل الجنوبي) في مقطوعتين من شعره فقال في احدهما :

حببت يا شام من شام ومن وطن ولا تعداك جون المزن يا وطني
وان اكن قاطناً ارض العراق فني ارض التحارير لي قلب بلا بدن

(٣) والراجح انه محرف عن الطلوسي نسبة الى طلوسة وهي من قرى جبل عامل الجنوبية على مقربة من ميس وارض التحارير .

ولد سنة ٩١١ وختم القرآن الكريم سنة العشرين . وقرأ على والده اوليات العلوم الى سنة ٢٥ وفيها توفي والده فارتحل الى مدرسة ميس الكبرى وانتقل منها سنة ٩٣٣ الى كرك نوح . وعاد الى وطنه جيع سنة ٩٣٤ . وسنة ٩٣٧ رحل الى دمشق فقرأ على محمد بن مكي^(١) من الطب شرح الموجز النفسي . وغاية القصد في معرفة القصد من مصنفاته . وفصول الغرغاني في الحياة . وبعض حكمة الاشراق للسهروردي . وعلى الشيخ احمد بن جابر الشاطبية في علم القراءة والقرآن بقراءة نافع وابن كثير وابي عمرو بن عاصم . وعلى الشيخ شمس الدين بن طولون الدمشقي الحنفي^(٢) جملة من الصحيحين وأجازه روايتهما مع مايجوز له روايته بمدرسة السليمية في الصالحية . وسنة ٩٣٨ رجع الى بلاده جيع . وسنة ٩٤٢ هاجر الى مصر وحضر حلقات دروس اربعة عشر عالماً من مشاهير علمائها في مختلف العلوم^(٣) ومنها سافر الى الديار الحجازية سنة ٩٤٣ لتأدية فريضة الحج بصحبة الشيخ ابي الحسن البكري احد شيوخه . وعاد سنة ٩٤٤ من الحجاز الى وطنه . وسنة ٩٤٥ سافر الى العراق ثم آب الى بلاده . وسنة ٩٥١ شخص الى قسطنطينية يصحبه تلميذه الشيخ حسين بن عبد الصمد المحدثاني^(٤) الجبلي والده العلامة البهائي والشيخ محمد بن العودي الجزيني^(٥) وبعد مكثه بها مدة ثلاثة اشهر ونصف موفور الحرمة عند علمائها ذوي الولايات

(١) كان عالماً بالطب والحياة والهندسة ذكره ابن العودي وصاحب امل الآمل وصاحب خطط الشام توفي سنة ٩٣٨ . (٢) من أعيان علماء دمشق في المائة العاشرة نحوي فقيه محدث مؤرخ له مصنفات كثيرة في التاريخ على اختلاف ضروبه توفي سنة ٩٥٣ — عن خلاصة الاثر . (٣) ذكر اسماءهم بالتفصيل مع وجيز من وصف فضاهم واحوالهم في ترجمته وقد اجازوه كلهم . (٤) تخرج بالترجم له وأقام مدة في بعلبك وبها ولد ولده العلامة البهائي . ثم سافر الى خراسان بعد ان درس مدة في مدرسة حلب التي فوض اليه التدريس فيها . وأقام مدة سيفه هرات . ثم انتقل الى البحرين وبها توفي سنة ٩٨٤ وله مؤلفات في مختلف العلوم ودبوان شعر . وقد أجازه شيخه المترجم له اجازة عامة (٥) كان مرافقاً لصاحب الترجمة في الحل والترحال وقرأ معه في دمشق الصحيحين على الشيخ شمس الدين بن طولون الآنف الذكر وأجازه بروايتها وصحبه الى مصر والعراق

الدبئية الكبرى وحصوله على براءتين من السلطان سليمان العثماني احدهما له بالتدريس في المدرسة النورية في بعلبك . والثانية لتلميذه الشيخ حسين بن عبد الصمد في احدى مدارس حلب غادرها وقد عرج في طريقه على العراق . وسنة ٩٥٣ قفل الى البلاد وباشر التدريس في المدرسة النورية البعلبكية التي فوضت اليه ولاية التدريس بها . يدرس في المذاهب الخمسة . ويعلم كثيراً من الفنون . ويصاحب اهلها على اختلاف آرائهم احسن صحبة . ويفتي اهل كل مذهب بما يوافق مذهبهم . وهو بين الجميع نابه الذكر . علي القدر . وافر الحرمة . ثم فارقهها مخزناً غير مخبوس الوزن الى بلده جيع . فانصب فيه على الدرس والتصنيف . عازفاً عن الدنيا وزخارفها . مرئفاً مع انصابه على العلم بما يبلغه الكداف والعفاف الى سنة ٩٥٥ التي انتهت بها ايام امته . وابتدأت ايام مخاوفه من الاعداء تدبر له المكاييد . وتلفق فيه المحاضر . وظاهر حاسديه عليه بعض ولاية السوء من الحشو بين ولم يثنه ذلك كله عن التصنيف حتى انه صنف شرحه على اللمعة الدمشقية بمجلدين كبيرين في مدة ستة اشهر وهو مستتر عن العيون والارصاد بظلال الاشجار وهذا الشرح جاء من خيرة كتبه .

ولما جد به الطلب ولم تغفل عنه عيون الوشاة فر الى الحجاز فلحق به رسول السلطان وقبض عليه وجاء به حتى اذا اقترب من قونية قتله باشارة بعض الجبهة وحمل برأسه الى السلطان فأمر فاعلمته وجازاه بالقتل بسعي صديق صاحب الترجمة المريد عبد الرحيم العباسي مفتي قسطنطينية وصاحب كتاب معاهد النصيص . وروى بعض مترجميه ان اصدقاءه الكثيرين من دمشق وغيرها من علماء وقته كتبوا يستشفعون به الى السلطان حين جد به الطلب وكان مقتله سنة ٩٦٥ .

* * *

وقسطنطينية وبعلبك مدة اقامته بها وكتب رسالة خاصة في ترجمة أستاذه ضم اليها ما كتبه عن نفسه . وما تجدد له من الحوادث وعدد مصنفاته . وذكر تلامذته وولده . ولم يدع شاردة ولا واردة من احواله الا وقد ذكرها وله شعر متوسط ورثى أستاذه بقصيدة مطولة .

علماء المائة الحادية عشرة :

(١) الشيخ جمال الدين ابو المنصور الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي الجبعي الشهير بالشامي .

علم من أعلام هذه المائة وامام التحقيق . له التصانيف الجليلة الجامعة الى غزارة العلم بلاغة العبارة ومنها مقدمة معالم الدين . ولذا المجتهدين في علم اصول الفقه وهو كتاب نافع يدرس الى اليوم . وهو معدود في الطبقة الاولى بين شعراء وقته .
ترجمه المحبي والخفاجي وابن معصوم والحر العاملي والبحراني وحفيده الشيخ علي في كتابه الدر المنثور وكلهم أثنوا على علمه وأدبه . توفي سنة ١٠١١ في جبع وقبره معروف فيها الى اليوم .

(٢) ولده الشيخ محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي :

من اكابر علماء عصره المحققين له مصنفات جيدة في فنون من العلم . ونثر وشعر متوسط الطبقة . رحل رحلات الى مكة والعراق ولم يلبث في العراق الا قليلاً وغادرها الى مكة خائفاً بترقب من اعدائه الذين رمي بسهم من اعدام فأخطأ . ولم يزل مجاوراً بها الى ان توفي سنة ١٠٣٠ .

كان في عهد اشتغاله بالعلم يذهب الى دمشق ويقم بها ويخلط بفضلائها وبصاحبهم ويعاشرهم أحسن عشرة . وقرأ عندهم في علوم شتى . ومن جملة شيوخه الشيخ شرف الدين^(١) الذي كان يقول اذا انتهى اليه التحكيم بما كان يجري بينه وبين تلامذته . من المناظرة « يا اخواني لا تغربوا في وجه الحسان » يعني بذلك صاحب الترجمة وكان هو والشيخ محمد بن الحرفوش من تلامذته . وكان من زهاد عصره . وما رواه عنه ولده الشيخ علي في كتابه الدر المنثور انه رد صلة صديقه الامير يونس حاكم بعلبك في ذلك الوقت وهي صلة لا يستهان بها تورعاً كما رفض التماس بعض ملوك عصره حضوره اليهم للاستفادة

(١) احد أفاضل دمشق المشهورين بالفضل التام وكان متجراً ذا فنون كثيرة اقرا الكثير وضبط وقيد وجلس مجلس التدريس ونفع كثيراً من الافاضل اخذوا عنه وانتفعوا به توفي سنة ١٠٣٨ (عن خلاصة الاثر) .

من علمه تجنباً للظهور . وابتعاداً عن رجال الدنيا .

(٣) اخوه الشيخ زين الدين بن محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي : ذكره غير واحد من رجال المعاجم كالحر العاملي والحلي وابن معصوم والبحراني واخوه في كتابه الدر المنثور وكلهم أطروا علمه وادبه . سافر الى بلاد العجم وقرأ مدة على العلامة البهائي وبعد وفاته ارتحل الى مكة ومنها الى بلاده ثم رجع الى العجم لاسر اقضى ذلك وعاد الى بلاده سريعاً ومنها سافر مرة ثانية الى مكة وفيها توفي سنة ١٠٦٤ .

وشعره معدود في الطبقة الاولى بين شعراء عصره ولم يؤلف كتاباً مدوناً لشدة احتياظه ومخافة الشهرة وليس له الا فوائد وحواش كثيرة غير مدونة بكتاب .

(٤) الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي الشهير بالبهائي :

من أقطاب العلم وأشهر رجال الفنون في هذه المائة وهو اعرف من ان يعرف وله مصنفات في اكثر العلوم المعروفة تجنب فيها التطويل .

سافر ابوه به الى العجم وهو ابن سبع سنين . ثم انتقل به الى البحرين وفيها توفي فعاد صاحب الترجمة الى بلاد العجم وأقام في اصفهان فأكرم الشاه عباس الصفوي وفادته وولاه مشيخة الاسلام . وتخلّى عن ذلك الى السياحة في الآفاق مدة ثلاثين سنة . وزار مصر ودمشق وحلب والقدس . واجتمع بحلة الخراب باديب دمشق في ذلك الوقت الشيخ حسن البوريني فظهر له من غزارة علمه وتحقيقه ما بهره وترجمه كما ترجمه الحلي ترجمة مطولة والحر العاملي والبحراني وابن معصوم والخفاجي والطالوي في سائحاته والمنيني في مقدمة شرحه لقصيدته . توفي في اصفهان سنة ١٠٣١ ودفن في المشهد الرضوي .

(٥) الشيخ حسن بن علي بن حسن بن احمد بن محمود العاملي الكونيني الشهير بالخانيني (١) :

(١) نسبة الى كونين وحانين وهما قرى بستان متجاورتان من قرى عاملة الجنوبية وعلى

ضعة اميال من تبينين .

انتقل ابوه الشيخ علي وهو من العلماء من المدينة الى جبل عامل فكان له فيه خلف صالح . ولصاحب الترجمة بعض المؤلفات الادبية والتاريخية وديوان شعره . واثني عليه المحيي وقال بعد ان وصفه بالفضل والادب « وكان مقبلاً ببلده بيت حانيني ^(١) من ضواحي صفد . وافنى مرة في حياة الشهاب احمد الخالدي ^(٢) » .

وترجمه الحر العاملي في امل الآمل توفي سنة ١٠٣٥ .

(٦) الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين الحر العاملي المشغري . الامام المحدث الكبير له مؤلفات كثيرة جملها في علم الحديث وشعره الكثير متوسط الطبقة بالنسبة الى شعراء زمانه .

ترجم نفسه في كتابه امل الآمل وترجمه ابن معصوم والبحراني والمحيي ترجمة مطولة . سافر الى بلاد العجم وأقام في طوس وبها توفي سنة ١٠٧٩ .

(٧) الشيخ محمد بن علي بن محمود بن يوسف بن ابراهيم الشامي العاملي المشغري ^(٣) . امام القريض والادب في وقته وشعره مطبوع نقي الذهباجة رحل الى الهند وأقام فيها مدينة بكنف الامير نظام الدين احمد بن الامير معصوم الحسيني . وبه تخرج في كثير من الفنون والآداب ولده السيد علي بن معصوم صاحب السلافة . وقد اظن بمده في سلافته . وترجمه المحيي والحر العاملي .

توفي في الهند سنة ١٠٩٠ وانيف بعد انتقالات واسفار في العجم والحجاز .

(٨) السيد جمال الدين بن نور الدين علي بن ابي الحسن الموسوي العاملي الجبعي . هكذا جاءت نسبته سيف امل الآمل . وفي خلاصة الاثر « السيد جمال الدين بن نور الدين بن علي بن ابي الحسن الدمشقي » .

(١) تقدم التعليق على الحانيني وانه نسبة الى حانين وهي قرية عامرة معروفة بهذا الاسم خلوا من لفظ بيت . (٢) الشيخ احمد بن محمد بن يوسف الصفدي الفقيه الاديب الحنفي المتوفى في صفد سنة ١٠٣٤ والخالدي نسبة الى خالد بن الوليد الصحابي (رض) عن خلاصة الاثر . (٣) نسبة الى مشغرة من اعمال البقاع وفي خلاصة الاثر بدل المشغري الحشري وهو تحريف .

قال صاحب امل الآمل بعد ان وصفه بالعلم والفضل والتحقيق والشعر « وكان
شريكنا في الدرس عند جماعة من مشايخنا » .

وقال الحبي « قرأ بدمشق وحصل وحضر مجالس العلامة السيد محمد بن حمزة نقيب
الأشراف فأخذ عنه من المعارف ما تنافست عليه الآراء . هاجر الى مكة وابوه ثمة
في الاحياء فجاور بها . ثم دخل الهند فحيدرآباد . ونقلت به الايام الى ان توفيت سنة
١٠٩٨ . واخوه السيد علي وهو من الشعراء واقام بمكة . وعنه اخذ الحبي ترجمة اخيه المترجم له .
(٩) الشيخ محمد بن احمد المعروف بالحريري و بالحر فوشي العاملي الدمشقي اللغوي
النحوي الاديب البارع الشاعر المشهور .

« كان في الفضل نخبة اهل جلدته » هكذا عرف به الحبي . وقال بعد ذكر مؤلفاته .
قرأ بدمشق وحصل وصما . وحضر دروس العمادي المفني وكان يجمله ويشهد بفضله .
ثم ذكر سبب مفارقتها الشام الى العجم واتصاله بسلطانها الشاه عباس الصفوي الذي صيره
رئيس العلماء في بلاده بعد ان كان خامل الذكر يصنع القماش المتخذ من الحرير ولهذا سمي
الحريري الى غير ذلك مما لا محل للذكره .

وهو مترجم في السلافة وامل الآمل وتراجم اعيان دمشق وفي السلافة بدل الحريري
الحويزي وهو خطأ يوم انتسبه الى الحويزة احدي كورالعراق . وزاد في امل الآمل
على نسبتته الكركي نسبة الى كرك نوح من اعمال البقاع على مقربة من زحلة . واكثر
مترجميه نسبوه الى عاملة كما نسبوا العلماء الكركيين اليها . متابعة لبعض المؤلفين الذين
توسعوا يحددها حتى ألحقوا بها بعلمك . وقد تقدم في بعض تعليقات هذا البحث تحديد
المعروف . والذي أراه ان هذا التحديد المتوسع فيه هو تحديد ادبي ومذهبي لا جغرافي
وسياسي لان الكرك بعلمك لم تكونا من اعمال عاملة وهما منفصلتان عنها جغرافيا واقتصاديا
وسياسيا قديما وحديثا ولكنهما متصلتان بها ادبيا ومذهبيا . واشتط الحر العاملي في هذا
التوسع حتى عد في العامليين ابا تمام الطائي وابن منير الطرابلسي ورعطاء من العلماء
الدمشقيين . وقد كانت له منسوخة عن هذا التوسع المخالف للمعروف من تحديد جبل
عامل بان يضم تراجم الخارجين عنه الى القسم الثاني المخصص لغير العامليين من كتابه .
توفي صاحب الترجمة سنة ١٠٥٩ .

من علماء المائة الثانية عشرة :

(١) الشيخ علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي الاصفهاني . صاحب كتاب الدر المنثور من المأثور وغير المأثور وغيره من الكتب الممتعة . اودع في ذلك الكتاب تراجم آباءه مفصلة . وترجمة له مطولة . استقصت احوالهم . وشغفهم بالعلم من المهد الى الخلد . واحتمل مشاق الرحلة في طلبه واخذ عن شيوخه . وما نوا به من مصابرة محن الايام . ومكابد الحساد للثام .

لم يصف الزمان لرجال هذا البيت الذين ورثوا العلم كابراً عن كابر وكانوا حسنات عصورهم فالشاهد زين الدين وهو من اعلام المائة العاشرة يتصل بسلسلة النسب العاملي بستة آباء كلهم علماء اولهم الشيخ صالح بن شرف تليد العلامة الحسن بن المطهر الحلي من رجال المائة الثامنة . ومن الشهيد تسلسل العلم في بنيته واحفاده الى المائة الثانية عشرة . اما الشهيد وهو من اشهر رجال هذا البيت واعلم علماء الامامية فقد مات قتيلاً في قونية . وحفيده الشيخ محمد وولده الشيخ زين الدين فقد ماتا غريبين فراراً من الاعداء في مكة . والشيخ علي المترجم له واولاده الشيخ محمد والشيخ حسين والشيخ علي والشيخ محيي الدين ماتوا في اصفهان . وفيها مات ابن اخيه الشيخ علي بن زين الدين بن محمد ابن الحسن زين الدين الشهيد وكلهم من اكابر العلماء .

وروى صاحب الترجمة في كتابه الدر المنثور من بعض تكبياتهم احتراق انف كتاب من مكتبتهم وانه لم يحصل بعد العناء الشديد الا على مائة كتاب من التي كتاب مما كان لهم امانة في دمشق وبعلبك وبلادهم .

كتب المترجم له سبعين كتاباً بخطه ماعدا مؤلفاته الكثيرة ولد سنة ١٠١٣ وتوفي سنة ١١٠٣ وقد زرف على التسعين .

من علماء المائة الثالثة عشرة :

(١) الشيخ ابراهيم بن محيي الخزومي العاملي الطيبي (١)

من اعيان علماء عصره واكابر شعرائه المفلحين اخذ مبادئ العلوم في بلاده عن ابيه

(١) نسبة الى الطيبة .

وعن علامة جبل عامل في وفته السيد أبي الحسن قشاقش جد أسرة آل الامين ثم هاجر الى بلاد العجم فأقام في اصفهان دار العلم في ذلك العهد مدة عشر سنين وآب الى وطنه عالماً متبحراً منفثاً شاعراً وله بعض المؤلفات ودبوان شعره الذي يحوي اربعين الف بيت كما روى لي ذلك حفيده الشيخ عبد الحسين بن ابراهيم بن صادق بن ابراهيم المترجم له احد علماء هذا العصر وشعرائه المطبوعين .

كان معاصراً لمشايخ آل الصغير الوائليين وآل صعب الايوبيين في اثبات صولاتهم وزهرة حكمهم الاقطاعي وله فيهم المدائح الحسان .

ولما حدثت ١١٩٥ معركة بارون^(١) بين جيش احمد باشا الجزائر الكثيف والعاملين على حين بغتة وانجحت عن مقتل كبير مشايخهم نصيف النصار الصغيري الوائلي وانتهزاهم اشتدت وطأة الجزار الثقيلة على البلاد وأمن فيها جيشه الظافر بدمر حصونها ونهب أموالها ويسوم أهلها ضروب النكال والقتل والتعذيب وكان اشد البلاء مصوباً على رؤوس العلية والعلماء ولم ينج منهم بعد استصفاء مكائهم الحافلة بنفائس الكتب^(٢) الا من كتبت له السلامة بالفرار . وكان صاحب الترجمة من البقية التي سلمت من سيف ذلك الغالب المنظم فهبط دمشق وسكن في محلة الخراب . وصاهر أشرف آل المرتضى على احدي كرائهم وكرائمه وطوى الشطر الأخير من صحيفه ايامه بين ظهرانهم محترماً مكرماً . ولم يكن ذلك بالذي يسليه عما حل ببلاده من مظالم الجزار التي شاهد منها الكثير عن كتب بعينه . وما زال يسمع وهو في دمشق من السنة الرواة فادح انبائها فنظم في الحنين اليها . والعطف عليها . قصيدته السائرة التي مستهلها :

من لي برد مواسم اللذات والعيش بين فتى وبين فتاة
ورجوع ايام مضيئ بعامل بين الجبال الشم والهضبات

(١) من قرى عاملة الجنوبية المتاخمة لحدود فلسطين الشمالية . (٢) على رواية بعض العاملين ان ما انتهب من مكتبة آل خاتون التي كانت تحوي اربعة آلاف مجلد ثلاثة آلاف مجلد ونيف فما بالك فيما انتهب من المكاتب الاخرى الكثيرة . وروى غير واحد ان أفران عكا أوقدت سبعة ايام بكتب العاملين ما عدا الكتب التي استصفاها حاشية الجزار والتي وقفها على المسجد المنسوب اليه .

وهي قصيدة طويلة من بارع شعره وخميرة .
على ان حنينه الى وطنه المشرّد عنه . وتذكّره ايامه الخوالي وهو تحت سمائه مرفه
الحال . هاديّ البال . لم يقف بقريحتيه الفياضة عن وصف دمشق جنة الارض وكل
ما فيها وحى وإلهام فقال :

ولما بلغت الشام صادفت جنةً	بها الحور والولدان فذوّ ونوأمُ
هي الغادة الحسناء ترقص فرحةً	فيُنثر دبنارُ عليها ودرهمُ
تبخرت في ثوب الغنى وهو مسبل	وتختال في برد الهنا وهو معامُ
وانهارها تفتّر عن درر الحصى	ويظهر مكنون الثغور التيسمُ
وكم روضة فيحاء قد نثر الحيا	عليها فريداً قلما ينظمُ
رياضٌ اذا هنّ النسيم غصونها	تأوه مشتاقٌ وحنّ منيمُ
وان اخرجت من كمها بانع الجنا	تشارك فيه العين والأنف والشمُ
نبارك من اولي الشأم محاسناً	غرائبها بمنّ لمن يتشاءمُ
محاسنها شقي جليّ وغامضُ	وجوهها في الحسن لا ينقسمُ
هي الدار نعم الدار لو ان عيشها	بدوم ولكن الغناء محتمُ

وله صاحب الترجمة سنة ١١٣٦ وتوفي بدمشق سنة ١٢١٢ قبل مهلك الجزار

بخمسة سنين .

أثر الصلة العلمية في البلدين :

ان من المستصعب جداً تحديد ماهذه الصلة العلمية من الاثر في دمشق وجبل عامل
وذلك لأمور : (الاول) لان هذه الصلة لم تكن منظّمة لعدم اننظام الهجرة العلمية
العلمية الى دمشق . (الثاني) لان المظان التي يرجع اليها في هذا البحث مفقودة . (الثالث)
لسكوت المعاصم الدمشقية وغيرها عن ذكر رجال حلقتهما الاولين من العالمين . وحسبك
انك لا تجد فيها ذكراً للشهيد الاول وهو اول من عرف بهجرتة الى دمشق واول عامل
على تحقيق هذه الصلة وما كان مجهول الفضل بدمشق في زمانه ومنزله كما عرفت . كان
لا يتخلو من ترداد علمائها عليه ولم يكن مؤرخونا بالزاهدين بتدوين النافه منها فكيف
يعرضون عن تدوين جليلها .

ان العاملين لم يكونوا باقل من الدمشقيين ملاماً في تركهم البحث عن هذه الصلة .
ومن العجيب ان نعرف للكفعمي صلاته بدمشق من المقرري الاندلسي ولا نعرفها من
العاملين انفسهم وان نجعل المآخذ التي اعتمدها فيما كتبه عنه والمجهول لنا من تلك الصلات
كثير . ولعل هذه الحلقة من حلقات التساريح مما فقد مع المفقود وهو الكثير من ميراث
البلدين العلمي .

ولئن عمتي طيننا نبأ تلك الصلات فجللنا أثرها فيها منذ ابتداء تاريخها من المائة الثامنة
الى المائة العاشرة والحادية عشرة فان رجال معاجم هاتين المائتين ومنهم المحيي والشهاب
الخفاجي وابن معصوم قد عرّفوا برهط علي عاملي عن ذكر في هذه الأطروحة ومن لم
يذكر من رجالها ومنه يستفاد ما لهذه الصلة في ذين العصرين من التأثير البين في مستوى
البلدين الأدبي .

ومن آداب جبل عامل ودمشق وما إليها من الديار الشامية مادة غزيرة لريحانة الشهاب
الخفاجي وسلافة العصر لابن معصوم وغيرهما من غير المعاجم الدمشقية .
على ان اثر تلك الصلات أبين ظهوراً في جبل عامل منه في دمشق . وبتأثير صلة
الشهيد الاول بدمشق قامت مدرسة جزين مسقط رأسه ومقر بنيته وذريته من بعده
بتعليم منظم مطبوع بطابع المدارس الدمشقية وأمهات وفود العلم من كل حذب وصوب
وكانت مبدأ النهضة العلمية وقام على مثالها مدارس كثيرة في عرض البلاد
العالمية وطولها .

ومشي الشهيد الثاني وبعض بنيته وكثيرون من جبل عامل على طريقة الشهيد الاول
في تجديد عهد تلك الصلة فاخذوا عن شيوخ دمشق مختلف العلوم وما كانت هذه الصلة
لتنوتر لولا تراجع العلم في البلاد وتواتر الفتن ولتتابع الحن وانا لندرجو ان لنوثق عراها بين
البلدين في هذا العصر الذي اصبحت فيه دمشق بعد شقيقتها مصر حافظة البقية الباقية
بما تركت كركم الغداة ومر العشي من تليد الساف الصالح وحاملة لواء العلم والثقافة والتجديد
للأمة العربية ورافعة منار فصاحتها ومشذبة اصولها من الدخيل ووطائنه بجوامعها وجامعتها
ومجمعها وعلمائها العاملين :

عضو المجمع العلمي

سليمان ضاهر

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

على اقتراح الاستاذ « المغربي »

تمهيد كُتِب لي الحظ في أوائل العمران أحضر مجالس الاستاذ العلامة المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي في بيروت في سنة ١٨٩٠ - ١٨٩٣ وكثيراً ما سمعت نصر يحانه بشأن الألفاظ العربية ولغة الجرائد والتعريب ولغة الدواوين واللغة العامية ومحادثاته مع علاننا اللغويين مثل الاستاذ الشيخ عبد الله البستاني والمرحوم الشيخ ابراهيم الحوراني وقرأت ما نشرته الصحف اذ ذاك بشأن وضع الفاظ للدم والمدموازيل وجني وغيرها مما طال به نفَس الكلام الى حد يمل منه القاري ودخل في ميدان تلك المناظرات رهط كبير من علاننا وأدبائنا حتى أفضى الامر في بعض الاحابن الى الخصام ورشق سهام اللوم والتعنُّت فخرج البحث عن الموضوع الأصلي الى المهاترة والمشاكسة شأننا في بعض الأوقات . فالأجدر بنا في مناقشاتنا هذه ان لانمس الشخصيات ولا نعرض لمس الحاسات بل نقصر على الأبحاث اللغوية .

وبناء على تلك الحوادث الخارجة عن موضوع اللغة ضاعت الحقائق اللغوية في زوايا الامل .

ثم جاء بعض علماء المشرقيات يصدعون بوجوب كتابة اللغة العربية بحروف لاتينية . وبعضهم يشتغلون باللغة العامية وضبط لهجاتها في كل قطر . مقترحين على الكتاب بحاراتهم في ذلك . وبعضهم أبدى آراء في التعريب وكتابة الأعلام مما ملأ الصحف أقوالاً متباينة .

فلبت الطلاب بكتابة مقالات مطولة في (اللغة العربية العامية) نشرتها في جريدة المنار البيروتية سنة ١٨٩٩ تطرقت فيها الى آداب العامية اشتقاقاً وصرفاً ونحواً وباناً

وبديعاً وعروضاً وشعراً ونثراً وأساليب وأمثالاً ونعابير وما ساق هذا مما أوحته اليّ
القرينة وقادني إليه البحث .

ثم بعد ذلك اعنيت بجمع اللغة العربية العامية في سورية ولبنان بمجمع كبير بينت فيه
الاشتقاقات والتعريف والتصنيف والدخيل ورددت ما أمكن رده إلى أصله ووضعت
لما ليس له كلمة عامية فصيحة ما يقابله من الفصحى . وراجعت كثيراً من الكتب البليغة
وسللت منها الفاظاً استعملوها وهي ليست في المعاجم وأبنت ناريحها ومظان استعملها إلى
نحو ذلك فكان لدي كتاب ضخم لرد اللغة العامية والألفاظ غير القاموسية إلى نصابها
ووضعت كتاباً آخر سميت (تحفة المكاتب للعرب والكتاب) استعملت فيه طائفة من
الأوضاع والمعربات والمصطلحات الكثيرة الدوران على الألسنة وهكذا كنت أنشر منها
في مجلتي الآثار نفاً بعنوان (ذخيرة الكتاب) من هذين المخطوطين .

فبعد هذه المقدمة أنقل إلى الموضوع فأجيب على الاقتراح مادة مادة وإعلي على
هدى في ما أروي الآن .

جواب الاقتراحات أجيب الآن على اقتراحات الرصيف الاستاذ «المغربي» بهذه

المعجالة :

(الصف الأول) - لا بأس باستعمال ما جرت به أقلام الفصحاء والبلغاء في
كتاباتهم مثل ما يدهنه المقترح في مقالته وتزيد عليها مثل قول ابن بطوطة المغربي في
رحلته (القبرية) التي سماها المبرّد (الشاهدة) وهي ما يوضع على القبر من الكتابة ونحوها
ويسمى بالافرنج (Epitaphe) وهي من كلمتين يونانيتين معناهما (على القبر) فكأنها
ترجمة حرفية للكلمة الافرنجية .

ووضع ابن بطوطة أيضاً العربى للمعجلة التي نقل الزكاب .

ووضع ابن خلدون الهداية للغريزة الحيوانية (Instinct) والمعاصر لما نسميه نحن
المكبس وهو آلة لعصر الأشياء ويسمى بعض العامة المزمة وهو نوع آخر من المعاصر .
وفي تذكرة داود البصير الطبيب الانطاكي الفاظ استعملها مثل الأظريّة لما نسميه نحن

بالرشته وهي من الفارسية (رشته) أي خيط لشبهها بالخيط والمصع لثمر العائيق والجساد للزعفران والجري للانكليس السمك النهري الطويل المعروف وتسميه غامنا حنكليس ايضاً والجامعة للفول . والدشيشة للحنطة المسلوقة التي يسميها الاتراك (بولغر) وتسميها العامة بالقرىف برغل . وقال عن الموميا انها يونانية والارجح انها حبشية بمعنى الطين وهو نوع من التراب اتخذ لحفظ الأجسام . وفي ما وقفت عليه وما اقنيت به من الخطوط في فنون كثيرة اصطلاحات يمكن استخراجها لاستعمالها . الى غير ذلك مما وضعه الكتاب حتى عهدنا بالقياس او الاشتقاق او الاستخراج من ثنايا الكتب اللغوية وفي اوضاع الجامعات العلمية في مصر ودمشق والمجلات والكتابات المحققين ما يعين على هذا الصنف ونشره .

(الصنف الثاني) — دخل في قوائمنا في الصنف الاول استعمال المولدين والمتأخرين حتى المعاصرين وهو من التساهل في اللغة مثل نفيم ونغم الخ .

(الصنف الثالث) — استعمل كثير من كتاب الانشاء والدواوين قبلاً ما استعمله زملاؤهم في عهدنا وهذا (قوانين الدواوين) لابن ماضي و (معالم الكتابة) لابن شيث القرشي و (كفاية الشروط) لاحدم و (الأحكام السلطانية) للموردي و (صبح الاعشى) للقلقشندي وأمثالها مشحونة بمثل هذه الاصطلاحات فما أمكن ايجاد مقابل له في القديم يكون استعماله اولى . وفي هذا التدرج اللغوي تاريخ لتطور الالفاظ وانقائها بحسب حاجة العصر ومطابقة الالفاظ للغة . ولقد عهد اليّ المجمع العلمي بنقل مثل هذه الاصطلاحات من كتب العرب ففعلت ولديّ منها مئات مثل مهندس العائير لما يعرف عندنا باسم (مرمهندس) والاحباس (للوقوف بالندسة) . وصناعة العائير (لانشاء المراكب) . والقيانات لما يعرف عندنا (بنجسم المعاش) وذلك لمن يغيب بدون عذر مشروع ودارالعيار لتصحيح الموازين الخ .

(الصنف الرابع) — ان ما دأبه المتأخرون اذا كان له مرادف يؤدي معناه فالاولى المعدول عنه ولا يسماً اذا كانت مشتركة بمعان أخرى فماذا ينصر اللغة استعمال (فاوض وكالم) عوض خابر . وترك المخايرة للمزارة لفهم كتب العرب القديمة والمتأخرة .

وان لم يكن له مرادف فيستعمل منه ما يحمل على القياس . فلكية (الشرانق) لما ينسجعة
دود الحرير له مرادفات منها فيلجة وصيلجة جمعهما فيسالج وصياح فلنترك (الشرقة
والشرانق) لسلخ الحية ونأخذ الاسمين لنسج الحرير تلك البهوض المشهورة ولنترك (الشاطر)
للخبث ونأخذ عوضها الحاذق وقس عليها .

(الصف الخامس) — اما الكلمات الدخيلة فما يستطيع الكاتب ايجاد مرادف له
يشترك معه ولو ببعض الوجوه فهو اولى مثل وضع المرحوم الشيخ سعيد الشرتوني كلمة
القطار لمجالات السكة الحديدية . و (القاطرة) لوكوموتيف . ووضع المرحوم الشيخ
ابراهيم اليازجي (المجلة) لما كان من الصحف بشكل كتاب و (الشاري) لقضيب الصاعقة
و (الجروثة) لليمكروب و (الانوبيات) للباشأس و (الشعيرة) للفرشاة و (الحبب)
للغرات و (الظلاء) للفرنيش و (الحسرة) لقصر النظر الخ .

ووضع الشيخ المرحوم ابراهيم الخوراني (المجهر) للكرسكوب و (المقرب) للتلسكوب
و (الحوصلة) للكبسول الابطالية الاصل و (البخيري) للمدخنة و (الفوارة) للنفورة
و (المضام) للأباجور .

ووضع المجمع العلمي في مصر (مرحي) لبراقو و (مدرة) للافوكانو و (اليهو) للصالون
و (القفاز) للكفوف و (النمرة) لنومرو و (الوشاح) للكردون و (الطنف) للبلكوف
و (الخرافة) للتوربيد و (المرب) للكلوب .

ووضع احمد زكي باشا (السيارة) للاوتوموبيل وغيرها .

ووضع الاب انتاس الكرمل ماث من الالفاظ مثل المعلمة (الانسكلوبيدية) وفي
مقالاته الكثيرة غني .

ووضع احمد تيمور باشا الارندج (لبويا) والطاقة (لباقة الزهور) والدرية للعرض
الذي يرمى عليه تمرناً في الاصابة والجوسق (للكشك) والجلبة (لقشرة الجرح) والوهين
(لناظر العائر او مقدم الفعلة) واللفام (لليشمق) والساب (لثياب الحزن) والماصر
(لحبل الحاجز في الطريق) والطيلسان (للسال) الخ .

ووضع مجمعنا العلمي (الهاتف) للتلفون وقد شاعت أكثر من غيرها كالمسرة والمقول ونشر بقية أوضاعه في هذه المجلة فليراجعها من شاء التوسع .
وإذا لم يجد الباحث ما يناسب الأجنبي وكان خفيف اللفظ وصيغته تناسب الصيغ العربية فلا بأس بإبقائه على أصله .

(الصف السادس) — وهكذا القول في الأساليب والتراكيب الأجنبية فإذا كان لها ما يقابلها في اللغة النصحى فالأولى استعماله لأنه من أساليب العرب ومقررات لغتهم وإذا كانت قريبة من مفهومنا ومما ندركه فلا بأس بها فنسأله الفرنج قولهم (زحف القائد بجيشه على العدو متمشيًا كالخرقة في الغابة) وقول فرجيل اللاتيني (إن قلب الأميرة مضطرب كخزوف مدار) مما ندركه ونألفه فلا بأس به وقد استعمله العرب ولكن قول فكتور هيكو الفرنسي (أجراس كثيرة تفرع كلها كأنها آذان من الموسيقى) وقولهم (جليد المرأة) أي زواجها مما لا نألفه كثيراً أو بالأحرى لا ندركه بالبداهة مثل الأول فهذا يمكن التعبير عنه بما يناسب أذواقنا .

ومثل قول وشنطن ايرفن الأميركي في كتاب يطوي مطالعه حواشي أوراقه قليلاً ليراجع ما استحسنه في صفحاته : (ان كتبه كلها آذان كلاب) وهذا ليس بقريب من فهمنا ايضاً . ومثله قول الانكليز عن براعم الشجر أي أغصانها أوراقها عندما تطبق شتاءً (نامت في سريرها الشتائي) مع حسن التشبيه ودقة تشبيهه ومنه قولهم في وصف المطالع المكب على كتبه هو (دودة كتب) او (أرضة كتب) .

وهذا يرجع الى أساليب البيان من استعارة وتشبيه وكناية وكل في ذلك ذوقه الخاص . فالانكليز يشبهون الاسنان بالدرّ مثلنا ولكنهم لا يستحسنون الفأج . ولا يشبهون الجميلة بالشمس والقمر ولكنهم يشبهونها بالنجم . ومن التشابه المبتذلة عندهم ايضاً ما هو جيد عندنا مثل جيد الغزال ورومان الندي وبحر الكف واسد الموقعة واشباه ذلك كثيرة مما يرجع الى الألفاظ والذوق .

(الصف السابع) — ان الألفاظ العامية أنواع فمنها :
« ما هو فصيح من أصل وضعه » فهذا يبقى على حاله . والآخر يرد الى أصله او بوضع له ما يناسبه .

« ومنها ما نَقَصَ منه » مثل فلان (أَسْطَا) أي أَسْتَادَ و (مَاضِلَه) أي مَلاظَه وهي النُقْل و (سَم) الجَلل أي سَنَامَه و (بَصَّة) النار أي بصَوْنَتِهَا و (طَار) (لِلْإِطَار) .
 « ومنها ما زِيدَ بِهِ » مثل (إِيد) لِيَد و (كَارَو) (لِلْكَارِ) و (دَوَايَة) (لِلدَوَاةِ) و (الْقَرْنِبِط) (لِلْقَرْنِبِط) و (لِقَطَر) (لِلْقَطَر) و (الْمَخْلَاة) (لِلْمَخْلَاة) .

« ومنها ما هو مَعْرُوف » مثل (الصَّلَاحِيَّة) بمعنى الصَّلَاحِيَّةِ أي ما يَصْلُحُ لِلشَّيْءِ .
 و (طَمْعِيَّة) (لِلطَاعِيَّة) وفي أَسْنَانِه (سَفَر) (لِلحَفَر) وهو صَفْرَةٌ تَمْلُوهَا و (حَاقَّة) (بِالْبَابِ) لِحَاقَتِهَا . واما (حَاقَّة) فهي جَمْعُ حَاقٍ يَنْحَوِي كَفْرَةً وَكَافِرٌ . و (الْحَاف) (لِلْحَافِ) لِحَافٍ بِمَعْنَى الْقِسْمِ .
 و (الْأَنَن) (لِلذَّن) بِمَعْنَى فُسَادِ الشَّيْءِ وَكَرَاهَةِ رَأْيِ مَنْتَهَى . و (الْحَوَر) (لِلْحَوَرِ) بِمَعْنَى الشَّجَرِ الْمَعْرُوفِ .

« ومنها ما هو مَحْضَف » و يَكْثُرُ ذَلِكَ بَيْنَ الذَّالِ وَالذَّالِ مِثْلُ (أَحْذَف) (الشَّيْءِ) أي أَحْذَفَهُ و (هَذَا) (لِذَا) و (دِي) بِاللُّغَةِ الْمَصْرِيَّةِ لَذِي و (خَزَنَة) (الْفَأْسِ) وَنَحْوَهَا خَرَزْنَتُهَا وَهِيَ ثِقْلُهَا الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ عَصَاهَا .

« وقد يَجْتَمِعُ التَّحْصِيفُ وَالْإِبْدَالُ » مِثْلُ (الْفَهْوَة) (لِجَرَابٍ) صَغِيرٍ يُوضَعُ بِهِ التَّبَغُّ وَنَحْوُهُ فِي تَحْصِيفِ (طَبِيبَةٍ) وَابْدَالِهَا وَ (شَفِشَقِي) (لِلشَّفِشَقِ) إِذَا نَكَلَ بِجَهْلَةٍ .

« ومنها ما هو مُبَدَّل » مِثْلُ قَوْلِهِمْ (تَدَشَّأ) أي تَجَشَّأَ و (كَمَرَه) (لِيَعْرِقَ) أي غَمَمَهُ بِمَعْنَى أَلْقَى عَلَيْهِ ثِيَابَهُ وَثَقَلَهُ كَمَا نَقُولُ الْعَامَّةُ أَيْضًا و (يَخْطُ) (بِنَوْمِهِ) أي يَغْطِي و (دَسَّ) (عَوِضَ) جَسَّ و (عَجْوَة) (لِلْعِجْمَةِ الثَّمَرَةِ) أي نَوَاطِئِهَا و (الشَّرَكَّة) (لِأَنْثَى الْحِجَلِ) عَوِضُ السُّلْمَكَةِ و (السَّوَاد) (لِلسَّجَادِ) أي سَرَقِينَ الْحَيَوَانَاتِ وَرَوْشَهَا الْخُذْلَانَاءُ النَّبَاتِ . و (فَرَمَ) (الْوَلَدَ) أَسْنَانُهُ لِيَتَرَمَّ (فَأَبْدَلُوا وَشَدُّوا الرِّاءَ) إِذَا أَلْقَاهَا فِي أَوَائِلِ عَمَرِهِ وَفَصَحَّيْهَا تُغَيَّرُ و (قَرَمَة) الشَّجَرَةُ لِأُرُومَتِهَا و (الْهَاجِج) (لِلْهَاجِشِ) الخ .

« ومنها ما هو مُشْتَقٌّ مِنَ الْجَامِدِ » مِثْلُ (تَبَغَّدَ) عَلَيْهِ كَأَنَّهَا مِنْ بَغْدَادَ . و (تَدَشَّقَ) كَأَنَّهَا مِنْ دِمَشْقَ و (خَرَنَقَ) (الْوَلَدَ) فِي حَضْنِ أُمِّهِ كَأَنَّهَا مِنْ الْخَرَنَقِ وَلَدَ الْارَنْبِ .

« ومنها ما هو مَخْوُوفٌ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ لَفْظَةٍ » مِثْلُ (أَيْشَ بَدَّكَ) بِمَعْنَى (أَيُّ شَيْءٍ بَوَدَّكَ) و (يَرْكَتَرُ مِنْ فُلَانٍ) أَيُّ بِرَكَّةٍ تَطِيرُ مِنْهُ وَهُوَ دَعَاؤُهُ عَلَيْهِ و (عَمَمًاوَل) أَيُّ (عَامِ الْوَلَدِ) و (إِسَاءَةً) أَيُّ (لِلْإِسَاءَةِ) و (هَاقَى) أَيُّ (هَذَا الْوَقْتِ) و (حَبْلَاس) أَيُّ حَبِّ الْآسِ .

« ومنها ما هو منقول عن لغات أعجمية » مثل (بشنوقة) لغطاء الرأس تركيبتها (إشلوقة) ويشنقون منها فعلاً فيقولون تبشنق وعندنا الخمار ونحوه لهذا المعنى و (جبا) التركية بمعنى مجاناً و (يوطاش) من كلمتين فارسيتين بمعنى (حجر واحد) ولها عندنا (العتبة) . و (الستيك) لما يبط . ووضع الشيخ إبراهيم اليازجي المطاط (للكاوتشوك) بمعناها والكتبان أوربتيان . و (التلغراف) من كلمتين يونانيتين بمعنى الكتابة عن بعد وقد وضعوا لها (البرق) والفعل (أبرق) . و (الهائلة) من العبرانية بمعنى البخار . و (إجر) الحبشية لرجل و (إيد) الحبشية ليد . والبندورة الاسبانية من (بومي دورا) (Pomi - dora) أي نفاح المحبة . و (الطرمبة) إيطاليتهسا (Tromba) وضع لها إبراهيم اليازجي (المضخة) و (الشطرنج) أصلها سنسكريتية (ستورنجا) أي صريع الأجزاء لأن الجند في الحرب يؤلف من أربعة أجزاء هي الأفيال والأفراس والمراكبات والمشاة .

هذه عجالة بنت ساعتها أظهرت فيها بعض ما عنّي بشأن الأوفرار والوضع والتعريب وهو باب واسع ويبحث لا قرار له .
ولقد عانى مجملنا الدمشقي في خدمة اللغة عناء كبيراً لتضارب الآراء وعدم توحيد الكلمة وكثرة المترادفات واختلاف الأذواق وحبذا لو عقدت لجان في كل بلاد عربية اللغة والعادات لمفاوضتها بهذا الشأن واستطلاع طلع ما تميل إليه من تعزير اللغة وتوسيع نطاقها وتجديد شبابها . فاللغات تحتاج مثل الأشجار إلى تقصيب وتقليم وتوليد فإذا حصرت في نطاق ضيق وشدت عليها الخناق بقيت على حالها من التقصير في التعبير عن المستحدثات .

ومن أفضل ما أختتم به كلامي قول المرحوم الشيخ إبراهيم اليازجي في مجلته البيان (١ : ٣٢١) ما نصه : « ولكن حقيقة الحال في اللغة أن تكون بحيث يمكن أن يُستنبط من نفس أوضاعها الفاظ لما يحدث من المعاني لا أن تكون بحيث تستغني عن المزيد إذ المعاني أبدأ لتجدد وليس من المحتمل أن قوماً يضعون الفاظاً لمعانٍ لا توجداه » .

وقوله في مجلته الضياء (٨ : ٢٧٧) ما نصه :

واما ان ادخال كلمات أجنبية الى لغتنا يعد دليلاً على ارتفاعها فيه نظر لكنه مما تلجئ اليه الضرورة حيث لا يتيسر وجود لفظ عربي قديم او مُحدث يقوم مقام الأجنبي والا فان ادخال اللفظ الأجنبي مع وجود لفظ عربي بمعنىا كاستعمال الأورطي مثلاً في مكان الأبهري والالبومين مكان الهلام والكاونشوك مكان المطاط والاسيد مكان الحامض وكقول بعضهم اندروميذا مكان المرأة المسلسلة كل ذلك يعد دليلاً على انحطاط اللغة كما لا يخفى على ذي بصيرة » اهـ .

ولعل توحيد الكلمة في خدمة اللغة على اختلاف الافطار التي يتكون فيها يكون قريباً فنشواطاً الانكار على الأوضاع الصحيحة والتعريب المفيد وليس ذلك بعسير على ارباب النهضة العصرية والحمية العربية ان شاء الله .



حفلة تكريم

حافظ بك ابراهيم

اغتنم مجمعنا العلمي وجود احد اعضائه حافظ بك ابراهيم شاعر النيل في بيروت فدعاه الى دمشق فلبى الدعوة وأقام له المجمع حفلة تكريم كبرى في مقره في المدرسة العادلية وجعل موعد الحفلة مساء يوم ١٧ حزيران سنة ١٩٢٩ ولم يحضر الوقت المعين حتى غصت ساحة دار المجمع على رحبها بجمهور المدعوين وكانوا من جميع طبقات الامة ينقدمهم نخامة الشيخ تاج الدين الحسيني رئيس الوزراء في الدولة السورية ومعالي الوزراء وطائفة من اعضاء المجلس التأسيسي ومئات غيرهم من اهل الفضل والأدب وعشرات من فضليات السيدات في دمشق في مكان خاص بهن . ثم لم يلبث ان قدم المحنّي به حافظ بك ابراهيم ومعه صديقه شاعر القطرين خليل بك مطران فتبوأ صدر المكان يحيط بها اعضاء المجمع العلمي . وقبل افتتاح الحفلة قام نخامة رئيس الوزراء وعاقى على صدرى الشاعرين وسام الاستحقاق السوري زيادة في تكريمهما والحفاوة بها فكان لذلك الوقع الحسن في النفوس . ثم افتتح الحفلة معالي وزير المعارف الاستاذ السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي وألقى الخطبة التالية :

حافظ مفخرة العرب

« وحبيب الشاميين »

يا سيداتي ويا سادتي

اذا رحب اهل هذه الديار بحافظ ابراهيم بك فانما يرحبون بناهضة عظيم في الشعر العربي أخرجته من ثيابه البالية وألبسه من عبقريته ثوباً جميلاً شفافاً يليق ان تظهر به أمة كانت أعظم أم الارض بحضارتها وآدابها وهي تحرص اليوم ان تسترد ذاك الماضي الباهر مطبوعاً بطابع العصر الحديث .

ليس شاعر النيل من الرجال الذين يحتاجون الى التعريف بهم والترجمة لهم فشعره

كألاً مثال السائرة وقصائده يحفظها الرجال والنساء وله من الحرمة في كل قلب مالا يقل عن اعظامنا لا كبر شاعر من شعرائنا في الدهر الغابر .

وكل هذا لانه صرف الشعر منذ نشأته في الاغراض الشريفة صرفه في رفع مستوى الامة في العلم والعمل فوصف داءها ودواها وهنّ بعظه او نار قلوبها فكان شاعر الاجتماع غير مدافع لا ابتداعه طريقة جديدة في تثقيف العقول وتهذيب الملكات فكان بتأثير شعره مرشد أمته ولسانها الناطق بالحق .

ومها بالقنا معاشر الشاميين بالخفاوة بشاعر النيل فاننا نرد عليه الآن واحداً من مثله مما أسداه الينا خاصة والامة العربية عامة . هو خاند أعمال الشاميين بشعره الخالد فلا عجب اذا اختلفت به عاصمة الأمويين اليوم بجميع طبقاتها فانه السابق الى الفضل والاحسان .

وان منبر المجمع العلمي العربي ليفاخر منذ تأسيسه بان اسم حافظ ذكر عليه عشرات من المرات وأنشدت قصائده ورقائقه وحكمه واستشهد المحاضرون بشعره وكانت آخر محاضرة في تحليل روحه السامي وشعره الاجتماعي مما القاه هذا العاجز في السنة الماضية وقد قلت في جملتها :

« وعشق حافظ الشام ايضاً ولم يطوف ارجاءها ولا رأى ارضها وسماءها وعاشر الشاميين وحننا عليهم وذكروهم بالاعجاب في شعره السائر بهز باوقدامهم نفوس الخاملين من المصيريين ليحذوا في الكسب حذوهم وبضربوا في الآفاق على مثالمهم .

ومن شعره في غلاء الاسعار يذكروهم بالشاميين ويقرع المصيريين :

ايها المصلحون أصلحت الارض وبتم عن النفوس نياما
اصلحوا انفسكم اضرت بها الفقراء واحيا بموتهم الآثاما
ليس في طوقها الرحيل ولا الجسد ولا ان تواصل الاقداما
تؤثر الموت في ربي النيل جوعاً وترى العار ان تعاف المقام
ورجال الشام في كرة الارض يبارون في المسير الغاما
ركبوا البحر جاوزوا القطب فاتوا موقع النيران خاضوا الظلاما
يمتطون الخطوب في طاب العبد شس يهرون للنضال السهاما

وبنو مصر في حمى النيل مصرى يرقبون القضاء عاماً فعاماً
 أبها النيل كيف نسي عطاشاً في بلاد رويت فيها الاناماً
 يرد الواغل الغريب فيروى وبنوك الكرام تشكو الاواماً
 انت لين الطبايع اورثنا الذل ل واغرى بنا الجفأة الطغاماً
 انت طيب المناخ جرّ علينا في سبيل الحياة ذاك الزحاماً

ومن هذا المعنى ما قاله في قصيدته (الامتان لثعافان) و يعني بها الامة المصرية
 والامة الشامية امتدح فيها ابناء الشام وسيرتهم في اميركا ولا سيما في نشر اللغة العربية :

بارض (كولمب) ابطال غطارفة اسد جيايع اذا ما ووثبوا وثبوا
 لم يحسم علم فيها ولا عدد سوى مضاء تحامي ورده النوب
 اسطولهم امل في البحر مرتحل وجيشهم عمل في البر منترب
 لم بكل خضم مسرب نهج وفي ذرى كل طود مسلك عجب
 لم تبد بارفة في أفق منتجم الا وكان لها بالشام مرثقب
 ما عابهم انهم في الارض قد نثروا فالشهب منشورة مذ كانت الشهب
 ولم بفرهم سراء في متاكها فكل حي له في الكون مضطرب
 رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا الى الهجرة ركباً صاعداً ركبوا
 اوقيل في الشمس للراحين منتجم مدوا لها سبباً في الجو وانثربوا
 سعوا الى الكسب محموداً وما فئت ام اللغات بذلك السعي تكثرب
 فأين كان الشاميون كان لها عيش جديد وفضل ليس يحثرب

وفي هذه القصيدة يقول في اتحاد مصر والشام في الجنس اللغة وتشاركها في الهناء

والشقاء :

ركنان للشرق لازالت ربوعها قلب الهلال عليها خافق يحب
 خدران للضاد لم تمتك ستورهما ولا تحول عن مفناهما الادب
 أم اللغات غداة الفخر أمعا وان سألت عن الآباء فالعرب
 اذا المت بوادي النيل نازلة باتت لها راسيات الشام تضطرب

وان دعا في ثرى الاهرام ذو ألم اجابه في ذرى لبنان منتخب
لو اخلص النيل والأردن ودمهما تصاحبت بينهما الامواه والعشب
وقد ختم هذه القصيدة في الصلح بين الاختين بقوله :

هذي يدي عن بني مصر تصالحكم فصالحوها تصالح نفسها العرب
فما الكنانة الا الشام عاج على ربوعها من بنيتها سادة نجب
لولا رجال تغالوا في سياحتهم منا ومنهم لما لنا ولا عتبوا
ان يكتبوا لي ذنباً في مودتهم فانما الفخر في الذنب الذي كتبوا
وقال من ابيات :

يضيق على السوري رحب بلاده فترك للأهوال ما هو راكبه
فما هي الا ان تجشيمه النوى وما هو الا ان تشد ركائبه
ووجه كلامه الى مصر كأنه يريد الصلح بين القطرين فقال ابياتاً ثلاثة :

ماذا جنيت وما جناء بنوك أظلمت يا مصر ام ظموك
فبسمت للغرب الطموح واهله ومنجهم فوق الذي فمخوك
وعبت في وجه الشام وانما قطر الشام وان عبت اخوك
وقال من قصيدة في تكريم صديقه خليل مطران :

انما الشام والكنانة صنوا كن يورغم الخطوب عاشا لزاما
أمك أمنا وقد أرضعنا من هداها ونحن نأبى الفطاما

وأخر حسنات حافظ قصيدته الأخيرة التي يقول فيها وهي كسائر شعره كلما كررت

حلت :

أبت أمية ان نفى محامدا على المدى وإلى ابنا غسان
فن غطارفة في جلق نجب ومن غطارفة في ارض حوران
عافوا المذلة في الدنيا فعندهم عز الحياة وعز الموت سيان
لا بصبروت على ضم يحاوله باغ من الانس او طاغ من الجان
شقت أسواق بيروت فما اخذت عينا في ساحها حانوت يوناني
فقلت في غبطة لله درهم ليس الفلاح لوان غير يقظان

تيمموا ارض (كولمب) فاشعرت
سادوا وشادوا وابلوا في مناكبها
ان ضاق ميدان سبق عن عزائمهم
لا يستثيرون ان هموا سوى همهم
ولا يبالون ان كانت قبورهم
في الكون مورقهم في الشام مغرسهم
ان لم يغوزوا بسلطان يعزهم
اوضافت الشام عن برهان قدرتهم
انا رأينا كراماً من رجالهم
اني الذقينا التي في كل مجتمع
كم في نواحي ربوع النيل من طرف
وكم لاحتياهم في الصحف من اثر
منهم بوط غريب الدار حيران
بلاء مضطلم بالامر معوان
صاحت بهم فأروها الف ميدان
تأبى المقام على ذل واذعان
ذرى الشواخ او أجواف حيتان
والغرس يزكو نقسلاً بين بلدان
ففي المهاجر قد عزوا بسلطان
ففي المهاجر قد جاؤا ببرهان
كانوا عليهم لدينا خير هنوان
اهل باهل واخوان باخوان
لليازجي وصروف وزبدان
له المقطم والاهرام ركنان

اما وقد رأينا هذا النموذج الصغير من عطف حافظ على الشاميين أفلا يتصاغر بربكم
كل اكرام أمام محاسن الكثرة . الا يقتبط منا كل من غذي زمناً بثمرات روحه ان
يرى اليوم شخصه الكريم بين أظهرنا . الا نعتقد كلنا اننا عاجزون عن شكره والى القصور
في الحفاوة به لا يسعنا الا عفوه .

بالخي حافظ . اننا نحبك معترفين ببعض أباديك البهض . نحبي في شخص شاعر النيل
ابناء النيل الاعزة . نحبي بك مصر المحبوبة والنموغ المصري . ومتى رجعت بالسلامة
الى مطلع شمك فاقرأ على اهلك وعشيرتك سلام جيرانهم في الشام واذا انساك شيطان
الشعر ذلك فالرجاء من رفيقك في رحلتك صديقي شاعر القطرين خليل بك مطران
الذي كان طول حياته أحسن صلة وعائد بين المصري والشاميين لمكان اخلاقه العالية
وأدبه الجم ان يعذر قصورنا فهو من أعرف الناس بنا وبهم . هذا والله ينفع الأمة
بحياء حافظ ويزيد في هنائه وسعادته .

ثم نلاه الأستاذ فارس بك الخوري فالتقى قصيدة غراء حيا بها شاعر النيل فقال :

ليالي التصابي قد جفاني حبورها	وليلي السوداء اسفر نورها
ومن لي بانكار الحقيقة بعدما	تجلى على وجهي وقودي نذيرها
فأجفة البازي تهلب ريشها	وساقية الآمال جف غدورها
تذكرت أيام السرور التي مضت	فياليت شعري هل يعود سرورها
وعهد ابنة العنقود يوم سقيتها	وقد شغفت قلبي فتاة تديرها
أهيم بما قد دار بين جفوننا	ولا تزدهني كرامة وعصيرها
أبت لما أشجان نفسي كأنها	ملبكة أسري والفؤاد سريرها
لدن لي مع الاصحاب سهم مسدد	وحظي من ريم الكناس غريرها
أسفت نلى عهد الشباب ولم تعد	تشير لنفسي مقلة وفنورها
وأدنتني الأيام من هوة الوفي	فأصبح مني قاب قوس شفيرها
وكادت صروف الدهر تطوي صحائفي	وهل بعد هذا الطي يرجي نشورها
الى ان تلافاني مطل بوجهه	على فضلات في الفؤاد بشيرها
ممام على الستين حافظ بأسه	يشد على السبعين وهو مزيرها
وليس يضير المرأة شيب شعوره	ولكنما شيب المزوم يضيرها
فما شائب الأقوام إلا وقورم	وأشيب آساد العرب مصورها
ممام له في الذائبات مواقف	يقع عنهما ككلها وطورها
غني عن الدنيا فلا تستغزه	خزائن ارباب الغنى وأثيرها
واخلق بن قال الكفاف اذا استوى	قليل الخافي عنده وكثيرها

وقفت أحبيه عن المجمع الذي	له رتبة فيه قليل نظيرها
ومن لي بتخليق الى اوج فضله	واين لهذا همي وقصورها
فياليت لي من شاعر النيل نفحة	يراض بها من قافياقي نفورها

أحافظ حبيبت الشام تحيةً
بفوق عبير الروض منها عبيرها

زفت لها الشعر النفيس عرائسا
والبستها ثوبا من الحمد دونه
وطوتها بالحب والعطف ربة
وأهديتها وحيًا من الشعر منسيا
وأوليتها نغرا على الدهر خالدًا
وجئت أيا حرًا الحبية داعيًا
قضية احرار يريدون نجحها
ألا فاهنقوا يحيا السفير سفيرها

دمشق تحيي فيك حرًا بشعره
وقد طالما اشتافت لزورة ماجد
فكم من فتى بالشام انت سميره
نثرت على العرب الكوام منازعا
فاني ارى عند الشبيبة نزوة
ألسن الذي إن أنشد النيل شعره
تلونا على الخابور من معجزاته
وجدناه في أرواد مطلقا على
وكانت قوافيه على ماء زحلة
سقيت ربوع النيربين بسلسل
سطرت عليها من جميلات آية

هنيئا لهذا الدار بعث نغارها
ولو كان شوقي حاضرا احزنت به
ثلاثة اركان وفي الله شملهم
فيا شعراء النيل انت قريبكم
أقمتم لاهل الضاد في مصر دولة
فأخطلها في عقرها وجريها
فرزدها والكل منهم اميرها
بهم عزت الفصحى وعز عشيرها
خزائنه عند الشام صدورها
أريكتها انتم ونحن ثغورها

نقدمكم طوعاً ونعرف حدنا وما آفة الأقوام الاغورها
 شرعتم لنا نهج النصيحة لاحبا وقومتوها فاستقامت امورها
 ففي ذمة الله الامام محمد منار الفتاوى الصائبات ونورها
 تخطى الى لب القضايا فدلنا عليه وقد ألت سواء قشورها
 وسعد ومحمود وصبري وقاسم وامثالهم ممن أجتت قبورها
 وأحيائهم رهط التجدد والعلی تباهي بطون الارض فيهم ظهورها
 اولئك خطوا للثغافة أسها وشيدت على هذا الاساس قصورها
 هم اول البائين والفضل فضلهم وهم في سماء المكرمات بدورها

وحبيت في فطر الشآم غطارفاً هم للاماني النبيلة سورها
 يحيون في احياء مصر ضياغماً تجاوب في أقصى البلاد زئيرها
 هم في تلافيف الدخان ليوشها وهم في تضاعيف السماء صقورها
 اذا حملوا ضياءاً فان صدورهم على الضغن والآلام تغلي قدورها
 وان صبروا صبر الحكيم على الأذى فما فاز بالآمال إلا صبورها
 لهم عزيمات ان نوارت هنيئة فلا بد ان تبدو وبلغلي سميرها
 وترجم حقاً ضائعاً لنصابه وصدق الاماني والاله ظهيرها

وباشاعر القطرين مطران ببيعة الـ قمر بض لديك اليوم يذكي بخورها
 لك الحمد أن بلغت شامك منية يحن اليها شيخها وصغيرها
 نوسات بالترغيب حتى أزرته وما كان لو لا ان فعلت يزورها

ثم نهض على أثره الاستاذ شفيق بك جبيري فالتقى قصيدة عصماء رحب فيها بالضيف
الكريم شاعر النيل فقال :

أشدت شعرك في أفياء لبنان	فرحت أغمز وسواسي وشيطاني
بالامس شوقي على أفناننا تغرد	واليوم حافظ مباد بافنان
وبنت مروان توجي من اباطعها	وشي القرامح عاشت بنت مروان
جبارة سخرت من كل كارثة	أعيت وما فتئت جبارة الشان
لله ظل على اكفافها لب	أعوذ بالظل من قهر وطغيان

يا طاوي اليم في دجناء زاحفة	على صفح من الأمواج مرثاة
يهفو به الشوق والاحضان تكتمه	الى اراهم من فخر وغسان
خلى ضفاف الحمى والنيل وانقلب	به المطي الى اهل وجيران
من عهد عدنان ما أبلى عروبتهم	وطء الهزاهن في ابناء عدنان
سرى في دمشق ونادم ان تولت بها	عصابة نادمهم روح حسان ^(١)
هذا الرقيق وفيه اظلاله بردي	يجري بروض على الفجاء ربات
لكن جنة قد أودت مواكبهم	فما تعج بارباع واوطان
خلت دمشق من التيجان وانسلط	أمية في الحمى من غير نجات
وقفت أنشد في الافناء ارسهم	لا الملك ملكي ولا السلطان سلطاني
لم يبق من عبد شمس غير خاطرة	أروي مغارسها من ماء أجفاني
أشقى وأنعم في اعطاف حبها	فيها الردى وبها روجي وربحاني
تكاد تومض في جنبي خيالهم	ما كان أبعدم عني وادناني
بلى الجبدان ، ما تبلى منافهم	في النيربين اذا كر الجديان

(١) إشارة الى أبيات حسان :

لله در عصابة نادمهم يوماً يخلق في الزمان الاول

تحية يا ضفاف النيل طيبة
 الشام من ودك الرباب في صلة
 من عهد عمرو فارتث ولا بليت
 اذا بكت جنبات النيل من ألم
 أواصر بيبان العرب بحكمة
 هما النجيات في تصوير جرحها
 أرى رجالاً على الأهرام ديدنهم
 لنكبوا عن صميم العرب واعتصموا
 كأنما مضر الحمراء ما زحفت
 ولا استطال لها والدهر بعهد
 تلك الفصاحات لم تذبل مناقبها
 أعيدتها خطرات ملؤها مفض
 آمنت باللغة الممرع مغرسها
 في ذمة الله تيباب يؤيده
 تقصينا لغة لم يمح رونقها
 اذا التفتنا غصوناً في شدايدنا
 لولا قوافير بوادي النيل نشبدها
 لقطعت يدينا الأرحام واضطربت
 لكن مصر وان هشت وان عبت
 بأوي إليها من النجاء متهم
 فما تحف بضيقات بشاشتها
 أملت على الشرق من آيات نهضتها
 أغنى زماناً ولم تنزع به هم
 في كل ناحية ملك يمزقه
 فلا الربوع على الأرذ هادئة

تجري بها الريح في شبح وحودان
 محبوكة الوشي في قرب وامعات
 قد ألقنتها الليالي أي إنقاف
 بكت دمشق بدمع منه هتاف
 النيل والشام في الآلام صنوان
 تصوير جرحها همس بأذات
 حل الأواصر من طي وشباب
 يجبل رميس أهدانا بأحدان
 الى المقطم في شب وشباب
 ظل على النيل اورميج يحلوان
 لنمو يعود على الأهرام فينان
 ان تهدم الشرق اركاناً باركان
 فما يزل ريب الدهر ايمان
 كر الليالي بنزير وقرآن
 زحف السنين بالآلام وأشجان
 فما تطيق الليالي هصر اغصان
 في غوطة الشام او في ارز لبنان
 بنا الوسوس في وصل وهجران
 ركن العروبة للقاصي وللداني
 فيستظل بظل العاطف الحاني
 ولا يحيط الاذي فيها بضيقات
 ما أنقذ الشرق من ذل واذعان
 حتى نلته فيه كل وسنان
 باغ من الانس او طاغ من الجان
 ولا هدوء على أرباع بغداد

يا حافظ الشعر في ميثاء مخصبة
من البسات سقاها ماء سحاب
هاجت دموعك في عيني مدامها
لما بكيت وهاج الحزن احزاني
يا وقفة لك في الستين تسألها
« أسوت أم أعدت حراكفاني »
فاضت بها عاطفات القلب فامتلات
من روح واقفها روحي وجثاني
هوت عليك فما زالت روائعكم
من الشباب على شرخ وريعات
هذي دمشق فغرّد في حدائقها
أغرودة الدهر تشجي كل أسوان
واندب أمية في شعر تسيل به
بطاح جلق في ظمن وركبان
الشعر منبهة الأقدام ان غفلوا
عن نهجم هن منهم كل سهوان
تبني وتهدم في الاحياء دولته
قواعد الملك جل الهادم البساني
كم ثورة بعثت نيران جاحمه
في أمة سهلة الأقياد مذعات
بطوي القرى اذا هبت عواصفه
ما ليس بطوى باسياف وصران
والشعر وحي فان اعيالك جاحمه
فما يقاد بالخان وأوزان
يموج بالنفس ان هاجت هوائجه
كما يوج نسيم الصبح بالبسات
اذا القوافي خلت من سحر عاطفة
فما تميل بارواح وأبدان

ولما فرغ شفيق بك جبري من قصيدته نهض الاستاذ خليل بك مطران
والقى هذه الابيات :

جزيت عنا الخير يا مجمعا
رجاله عليه اهل الأدب
رئيسه من هو فاذا كره
ما شئته من نسب او حسب
وصحبه في نخب الشرق من
اهل الحبي والعلم اصفي النخب
قد هل من عزك ما يرتجي
ولاح من فضلك ما يرتقب
جدد لك الخير ولا تفسد
فانما تبعث مجد العرب

حاضرة الاسلام في حقبة
تبدوان تدعى بكبرى الحقب
والت على الدنيا الفتوح التي
تعاقت وانصلت كالسبب

في كل معنى من معاني العلى مشى بها اليمن وراء الحرب
ان تستعد من عزها ما مضى وهي له اهل فهل من عجب

صحبته من مصر اخي حافظاً وحافظ أنبل من يصطحب
حتى حججناها فيا لطف ما فيها لقينا من جزاء النصب
جنة عدن طالعتنا بما سر وسرّي وشفي من نصب
فالطائر الغريد في روضها امكنه حيناً ناهي الطرب
ان تستز بدوه في قابل يسمع منه كلكم ما احب

عندها نهض المخنفل به حافظ بك ابراهيم والقي على الجمهور هذين البيتين :
شكرت جميل صنعكمو بدمعي ودمع العين مقياس الشعور
لاول مرة قد ذاق جفني على ما ذاقه دمع السرور
ولم يكدها قراءة حتى تعالي التصفيق من كل جانب ثم اختتمت الحلقة وارفض
الجمهور شاكرين معجبين .



آراء وافكار

اعادة النظر في المذمر

بعد طبع ما طبع حول كلتي (المذمر والسمارة) في الجزء الماضي ص ٣٠٢ قرأنا في مجلة لغة العرب (السنة ٧ ص ٥٦٣) لصاحبها العلامة الكرملي مقالاً المنشور في (ف . كرنكو) تحت عنوان (إعادة النظر في المذمر) وتعليقاً عليه بقلم الألب الكرملي فأحببنا نشرهما هنا استيفاءً للموضوع من جميع جهاته . قال المنشور الفاضل :

صديقي العلامة

أخاف أنك لم تستقص في البحث عند ترجمتك كلمة (buste) بالمذمر فلو كنت سألني عنها قبل معرفتي تعبيرك لكتبت لك : « دمية صدرية » او ان شئت (تصوير صدري » واما براهيني في رد ترجمتك فاني لم اجد لفظ (المذمر) الا في معنى قبيح . كما يظهر من الأبيات التي نقلتها من أشعار القدماء ولغناء أئمة اللغة ، وترى من تفسيرهم ان المذمر عندهم لم يشمل الصدر ومقدم الرأس . والسبب الثالث ان الكلمة الفرنسية تفضل الصدر على سائر الجسم ، وانت تفضل مؤخر الرأس على سواء وفي الختام اقول : اني لست الا احد الطالبين . وانت أعرف مني في هذه الاشياء . وقد سبقني اليها حتى بلغت منها أقصى الغاية ولا أطمح في ان الحلق فيها ابد الدهر .

« تذليل » : اني لم أطلع المعاجم اللغوية عمداً ليكون نذهي منقولاً عن الآثار

القديمة فقط .

قال عتيبة بن مرداس وهو ابن فسوة :

نطالع اهل السوق والباب دونها يستفلك الذفري اسيل المذمر
التذمير ان يدخل انسان يده في رحم الناقة ، فيعرف أذكر هو ام أنثى عند ولادتها
يعني جنينها والمذمر (بكسر الميم) الذي يفعل ذلك . عن كتاب الاختيار بن .
وقال القطران السعدي :

مق ما تذرهما تجدها كرهية اذا احضرت شئنا بلقا حجولها

التذمير ان يس ذفرى الحوار ولحيه اذا خرج رأسه عند النواج فيعرف أذكره
أنثى ، ويقال لذلك الموضع المذمر .
(عن المذكور ايضاً)
وقال الكيت :

وقال المذمر للناجين . متى ذمرت قبلي الارجل
المذمر : الذي يدخل يده في رحم الناقة ليعلم ما الجنين . سمي بذلك لان يده
تقع على مذمر الجنين والمذمر الذفرى وما يليها .
وقال الجعدي :

وحى ابى بكر ولا حى مثلهم اذا بلغ الامر العماس المذمر
العماس الذي لا تعرف جهته . بلغ الامر المذمر كما نقول : بلغ الامر الخنق .
وقال الفرزدق :

كيف التعذر بعدما ذمرت صقبا لمعضلة النواج نوار
ذمرت مسسم المذمر ، والمذمر مكانان يسهما المذمر ، احدهما بين الاذنين فاذا وجده
غليظاً تحت يده علم انه ذكر ، وان وجده ليناً علم انها أنثى . والآخر طرف اللحي اذا
وجده لطيفاً علم انها أنثى واذا وجده غليظاً علم انه ذكر .
وقال في الجمهرة : وذمر الفصيل : غمز ففاه اذا خرج من رحم أمه ليعرف أذكر
هو ام أنثى . وفيها ايضاً : المذمر الفاعل من ذمر والمذمر المفعول . والمذمر القفا .
وقال الكيت :

وانسى في الحروب مذمر يكم نواج الين ما صفة السليل
المذمر الذي يدخل يده في رحم الناقة لينظر ما الولد .
وقال علقمة بن عبدة :

عمدتم الى شلو نؤذر قبلكم كثير عظام الرأس ضخم المذمر
وفي رواية : كبير عظام الرأس . . .
وقال ابو الهمام التغلبي :

يقص السباع كان حلا فوفه ضخم مذمره شديد الانحس
المذمر أسفل من الذفرى .

وانظر ايضاً كتاب الابل للأصمعي ص ٧٢ والنقائض في فهارسها .

بكنهايم (الكثرة) : المختص : ف . كرنكو

(لغة العرب) لما وضعنا كلمة « المذمر » ترجمة لكلمة (buste) الافرنجية لم نرد ان نقول : ان العربية وردت بمعنى الافرنجية رأساً برأس لكننا أردنا ان نقول انها اقرب لفظة في لغتنا الى الغربية ، وكل كلمة سواها بعيد عن المطلوب كل البعد . فقد بينا ان السجارة لا تؤدي المطلوب — بل هيئات — لان اللغويين انفقوا اتفاقاً واحداً على انها شخص الرجل اي سواده وهو ما يعرف عندهم بـسيلويت كما ذكرنا (راجع لغة العرب ٧ : ٣٢٩) ولا يمكن مخالفة رأي الأقدمين باي وجه كان . واما ما يذكره لنا حضرة صديقنا فريتش كرنكو فلا يؤدي المطلوب . لاسباب منها : اننا أردنا كلمة واحدة لا كلمتين — ٢ — قوله دميمة صدرية هي صورة الصدر (Figure ou Image représentant la Poitrine) وكذلك قوله : تصوير صدري . فأين هذا من المطلوب تأديته . فالكلمة الافرنجية تعني الرأس مع أعالي الكتفين . وما عليه الا ان يبحث المعنى في دواوين اللغات الافرنجية على اختلافها .

إذن نرى ان احسن لفظة وأقربها الى المطلوب هي (المذمر) لان اللغويين الاقدمين والشعراء الاولين أرادوا بها (الذفرى وما يليها مثل ما بين الاذنين ، وطرف الحنجر ، والظفر ، وأسفل من الذفرى) فاذا كان كل ذلك ، كان اقرب ما يكون اليه هو (البست) الافرنجية من باب التوسع قليلاً والتساهل . لا من باب وضع اللفظ وضعاً محكماً لما يقابله عند الغربيين . وبعد هذا لانهود الى هذا البحث ، مما كتب فيه اه .



حول تسمية كتاب النجوم الشارقات

قال صديقنا الاستاذ العلامة السيد مسعود الكواكبي عن كتاب (النجوم الشارقات في ذكر بعض الصنائع المحتاج اليها في علم الميقات) (ج ٨ ص ٧٦٥) انه ليس فيه مما يخص بعلم الميقات شيء بل جله في معالجة بعض الصباغات والدهانات والمعادن فلعل تسميته (في عمل الميقات) كما وردت في محاضرة للزميل الاستاذ المعلوم اصح .

اقول يظهر ان الاستاذ لم يتصفح جميع ابواب الكتاب ولو تصفحه لوجد فيه عدة ابواب مثل الباب الاول والباب الرابع والخامس والعاشر والحادي عشر والثالث عشر والرابع والعشرين سكها لها دخل عظيم في علم الميقات لان كتب هذا العلم تكتب كما رأينا في عدة كتب مخطوطة بالممدادات الملونة والباب الرابع والعشرون الذي هو في معرفة ما يحتاج اليه في دوائر المعدل ودوائر العروض والأزكر وكسبها والمقورات الخ له دخل كبير في هذا العلم ولذلك قلت في خاتمة الطبع ، يغاب على الظن ان الصواب ما هو مذکور هنا وان المؤلف سماه ابواب الكتاب .

وبعد طبعي للكتاب ظفرت بورقة منه عند بعض الاصدقاء فيها الصفحة الاولى والتاسعة عشر والعشرون وقد كتب على ظهرها (النجوم الشارقات في الصنائع المحتاج اليها في بعض الاوقات) وقال في اول الخطبة قال الشيخ الامام العالم العلامة الخ ابو عبد الله محمد بن ابي الخير الحسيني الأرميوني المالكي . ثم قال وبعد فيقول الراعي عفو ربه من الذنوب والزلات محمد بن ابي الخير الأرميوني يسر الله له الخيرات اني استخرت الله في وضع فوائده لا بد منها لمن أراد التوصل الى فن الوصفيات وسميتها (بالنجوم الشارقات في بعض الصنائع المحتاج اليها في بعض الاوقات) ورتبتها على خمسة وعشرين باباً الخ .

وكتب لي علامة فاس والديار المغربية الشيخ محمد عبد الحلي الكتاني مانصه : اني ظفرت بنسخة منه في الجزائر عنوانها هكذا : (النجوم الشارقات في ذكر بعض الصنائع المحتاج اليها في بعض الاوقات) لابي عبد الله محمد بن ابي الخير الأرميوني الحسيني المالكي ولا شك ان المحتاج اليها في بعض الاوقات أحسن وأنب من العنوان الذي رتبتم .

فتكون النسخة التي ظفر بها الاستاذ موافقة في التسمية للنسخة التي ظفرت بورقة منها عند بعض الاصدقاء .

ثم بينما كنت أتصفح الكتاب الذي وضعه الدكتور داود جابي في المخطوطات النادرة الموجودة في مكاتب الموصل رأيت ذكره في جملة الكتب التي هي في خزائنه مجموعة فيها (١) النجوم الشارقات في ذكر بعض الصنائع المحتاج اليها في علم الميقات لمحمد بن أبي الخير الحسني قال احمد زكي باشا البجائي المصري ان مؤلف هذا الكتاب ابو عبد الله محمد بن أبي الخير الحسني الأرميوني نسبة الى قرية قريبة من كفر الشيخ في مديرية الغربية في مصر وقال ان من هذا الكتاب نسخة في الخزانة الزكية عني هو بتصحيحها ومقابلتها على نسختين احدهما في المكتبة المصرية في القاهرة وهذا أطال الدكتور الكلام على هذا الكتاب فتكون هذه النسخ الاربع حسب الظاهر حيث ان الدكتور لم يذكر فيها اختلافات في التسمية موافقة للتسمية المذكورة في النسخة الخطية التي ظفرت بها وطبعت عليها الكتاب فتلخص من مجموع ما بيناه ان لهذا الكتاب اسمين (الاول) ما أثبتناه في الطبع . (الثاني) (النجوم الشارقات في الصنائع المحتاج اليها في بعض الادقات) فيكون قول الصديق الاستاذ الكواكبي فلعل تسميته (في عمل الليقات) كما وردت في محاضرة الاستاذ المعلوم اصح ، بعيداً عن الصحة والصواب .

عضو المجمع العلمي

محمد راغب الطباخ



مطبوعات حديثة

قرآن فرنسا

« تأليف السيد جان ميليا ص ٣١ طبع باريز »

اسم هذه الكراسة بالفرنسية (Le Coran Pour la France Par Jean Mélia) خاض فيها الكاتب في أبحاث مهمة في القرآن وقال ان الواجب ان يطرح بعد الآن ما ادعاه بعض المتفلسفين من الفرنسيين في القرآن ، فالقرآن يجب ان يتلى بتؤدة فليس فيه ما يتهكم به الاعداء من انه ملقن التعصب وقال ان الاسلام دين سماوي وهو دين حب وعاطفة وشرف وانه ليس في الأديان دين اكثر تساهلاً منه الى غير ذلك من المباحث التي خدم بها أمته أولاً والامة الاسلامية ثانياً فاستحق كل الثناء على بعد غوره وسعة علمه واطلاعه واتساع محيط عقله وحريته . م . ك



لدى نصارى الشرق

Chez les chrétiens d'Orient

« تأليف السيد جان ميليا طبع سنة ١٩٢٩ في مطبعة شار بانتيه في باريز »

« ص ٢١٥ »

شرح المؤلف في هذه الصفحات باللغة الفرنسية ما قامت به الارشاليات الكاثوليكية اللاتينية في الشرق من نشر النصرانية وخدمة اللغة الفرنسية والمناحي الفرنسية وذلك بما أسسته من المدارس والمعابد والمستشفيات والمباني وغيرها وقد امتدح من ملوك الآباء البهس والاعازار بين اكثر من امتداحه من اليسوعيين لان هؤلاء يتدخلون في امور ليست من شأن رجال الدين وان كان جميع هؤلاء الدعاة غطاء واحداً في بعدالهمة والنفاي في خدمة الغرض الذي نذبوا أنفسهم اليه . م . ك



مصطفى كمال

[أو تجدد تركيا]

Jean Méliá : Mustapha Kémal, ou la rénovation de la Turquie .

« تأليف السيد جان ميليا طبع في مطبعة شار بانتييه بباريز سنة ١٩٢٩ »

« ص ٢٤٠ »

كتاب كتبه مؤلفه بالفرنسية وهو من رجال الصحافة المعروفين وصف فيه نشأة مصطفى كمال باشا رئيس جمهورية تركيا ومجدد حياتها السياسية والاجتماعية وما قام به من الاعمال الحربية في الاناضول حتى جمع فلول أُمته وألف منها أمة قوية قضت على الطامعين فيها الى ان تادت تركيا بالجمهورية ثم التفت الى اصلاح المسائل الاجتماعية فرفع حجاب النساء واستعاض عن الطربوش بالقبعة وطبق القسانون المدني وجعل الدين في الجوامع ولم يبق له اثر في السياسة والمدارس وقبل الحروف اللاتينية بدل العربية الى غير ذلك من اصلاحاته التي أورثت تركيا روحاً وطنياً بهذا التجدد ، ثم ذكر علائق تركيا مع فرنسا منذ القديم ورأى ان تكونا على الدهر متصافيتين . م . ك

مركز تحقيق حديث ذي القرنين

« عني بنشره السيد اميليو غومز المعيد بجامعة مجريط طبع بمطبعة »

« ماستري في مدينة مجريط سنة ١٩٢٩ ص ٧٢ النص العربي مع ترجمته »

« بالاسبانية ومقدمة له مطولة »

قال الناشر انه وجد هذا الحديث في مخطوطة مغربية وهو كيعض الكتب التي نقل الفائدة من نشرها لانها لا تؤيد اصلاً من الاصول العلمية او الدينية . واذا كانت المقصد ان في الاسلام مثل هذه الحكايات و يريد ارباب الغايات ان يحملوه اياها ليجعلوا عليه فان اهل الفريق الآخر يجيبونهم بان في خزائنكم من أمثال هذه الاسفار مئات . وكان على الناشر ان يعنى باحياء كتب ورسائل أخرى للعرب بأخذها من خزائني

الاسكور بال ومجريط في بلاده وبذلك كان خدم اللغة والعلم وقلل من الخرافات التي تغلفت في احشاء أمتة أكثر من كل أمة أوربية .
م . ك

الاستقصا

« لاخبار دول المغرب الافعى »

نقله الى الفرنسية السادة كرول واسماعيل حامد وكولين ، ثلاثة اجزاء
انتهت بسنة ٦٣٦ (١٢٣٨ م) طبع بباريز ، على نفقة ديوان المسائل
الوطنية والاستخبارات في مراكش

نشر الاصل العربي من هذا الكتاب في القاهرة منذ سنين وهو تأليف احمد بن
خالد الناصري السلاوي انتهى بمجواته الى آخر القرن الماضي وهو أهم مصدر في تاريخ
المغرب الافعى يصح ان يقال فيه جمع فاعى ، وقد شرع بترجمته الى الفرنسية بنظارة
صديقنا الاستاذ السيد ميشو بلير احد اعضاء المجمع العلمي العربي . والتزم المترجمون
مراعاة الاصل في الترجمة ليقف القاري على روح المؤلف ومقاصده . وقد أتبع كل
جزء بفهارس نافعة . وحبذا لو عاد الناشر الى طبع الاصل العربي طبعة علمية محدومة
بالنصح الجيد كما فعل غيرهم من علماء المشرقيات في فرنسا وطبعوا مثلاً نزهة الحادي
وتاريخ المسعودي والاعتبار لابن منقذ اصلاً وترجمة وكذلك فعلوا بكثير مما رأوا في
نشره فائدة للعلم وعساهم فاعين .
م . ك



اشعة خاصة بنور الاسلام

« تأليف السيد ناصر الدين ديبه وتريب الاستاذ راشد رستم طبعت »

« في المطبعة السلفية بمصر (ص ٥٦) »

هي محاضرة القاها في جمعية الاخوة الاسلامية بباريز السيد ديبه وهو مصور
افرنسي مشهور دان بالاسلام منذ أمد بعيد وأعلنه مؤخراً وله عدة تأليف في الدفاع
عن الاسلام واهله دفاع الباحث عن الحقيقة . وقد عالج في محاضراته هذه عدة مسائل

مهجة ينال بها المخالفون من الاسلام ، مثل مسائل العلم والخمر والوسيلة والاله والزواج والصلاة الخ ، وبين محامد الدين الخفيف ، وعارضها بما يقابلها ، وقال ان الاسلام يطبع اهله بطابع خاص ، و « آثاره لا تزال باقية في اهل اسبانيا وان كانوا قد ارتدوا عنه منذ خمسة قرون » و « ان القرآن حقق معجزة لا تستطيع اعظم المجامع العلمية ان تقوم بها ذلك انه مكن اللغة العربية في الارض بحيث لو عاد احد اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم اليها اليوم لكان مبسورآله ان يفهم تمام التفاهم مع المتعلمين من اهل اللغة العربية بل لما وجد صعوبة تذكر للتخاطب مع الشعوب الناطقة بالضاد . وهذا عكس ما يجده مثلاً احد معاصري رابليه من اهل القرن الخامس عشر الذي هو أقرب اليها من عصر القرآن من الصعوبة في مخاطبة العديد الاكبر من فراسي اليوم » .

وختم محاضراته بقوله والعقل رائده « ثم توجه صريح القول الى اخواننا المسيحيين ان يكفوا عن مناهضة المسلمين اذ هم لا يجنون من وراء ذلك شيئاً طيباً ، كما اننا ندعو عقلاء الفريقيين ان يحترم بعضهم بعضاً وان ينقروا وبتعاونوا في سبيل الأخلاق ومحاربة المادية ومناهضة الاحاد . انهم ان يفعلوا ذلك يحسنوا صنماً ويخدموا الانسانية المعذبة التي هي في اشد الحاجة الى الأخلاق والفضائل » .

م . ك

— — — — —

جزيرة رودس

« تأليف حبيب غزالة بك طبعت بمطبعة الاعتماد بمصر »

« ص ٩١ »

أفرد المؤلف هذه الجزيرة بالتأليف ولم يغفل عن الانيان بخلاصة تاريخية عن أشهر جزائر بحر ايجه او الارخبيل فتكلم على طبيعة تلك الجزر وتاريخها وتكوينها وكل ماله مساس بها فجلاها لمن لا يعرفها وحلى الكتاب برسوم جميلة فزادت فائدة هذا المختصر الذي نم عن فضل المؤلف واعتياده التحقيق والتدقيق .

م . ك

— — — — —